

مِنهَاجُ المُتَعَلِّم

لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي

المتوفى سنة (٥٠٥هـ)

حققه

أحمد عناية

دار التقوى

للطباعة والنشر والتوزيع



الكتاب : منهاج المتعلم

المؤلف : الإمام الغزالي

الطبعة الأولى

الرقم الدولي: 978-9933-9034-73

تاريخ الطبع : ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

دار التقوى
للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا . دمشق . حلبوني . ص.ب: ٣٠٧٢١
هاتف: ٢٢١٥٤٦٤ - ٠٩٣٣ ٢٠٦٠٠٧
فاكس: ٥٩٢١٨٨٠ ١١ ٩٦٣+
E-mail: daraltaqwa.pu@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، نشكره سبحانه وتعالى على ما ألهمنا، ونسأله التوفيق للعمل بما علمنا، فإن الخير لا يُدْرك إلا بتوفيقه ومعونته، ومن يضلل الله من خليقته فلا هادي له، وصلى الله على محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى من اتبع النور الذي أُنْزِل معه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الله سبحانه جعل للعلوم محلين:

أحدهما: القلوب، والآخر الكتب المدونة، فمن أُوْتِيَ سمعاً واعياً، وقلباً حافظاً، فذاك الذي عَلَت درجته وعَظُمَت في العلم منزلته، ومن عجز عن الحفظ قلبُه فخط علمه وكَتبه، كان ذلك تقييداً منه له؛ إذ كتابه عنده آمَنُ من قلبه، لما يعرض للقلوب من النسيان.

ثم إني أوصي نفسي وكل طالب علم بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل بموجبه، فإن العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يُعَدُّ عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً.

وقيل: العلم والد والعمل مولود، والعلم مع العمل، والرواية مع الدراية، فلا تأنس بالعمل ما دُمْتَ مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصِّراً في العمل، ولكن اجمع بينهما، وإن قل نصيبك منهما، وما

شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته، وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم إلى عبادته، والقليل من هذا مع القليل من هذا أنجى في العاقبة إذا تفضَّل الله بالرحمة، وتَمَّم على عبده النعمة.

قال بعض الحكماء: العلم خادم العمل، والعمل غاية العلم، فلولا العمل لم يُطْلَب علم، ولولا العلم لم يُطْلَب عمل، ولأن أدع الحق جهلاً به أحبّ إليَّ من أن أدعه زهداً فيه.

وهل وصل الحكماء إلى السعادة العظمى إلا بالتشمير في السعي، والرضى بالميسور، وبذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم؟ وهل جامع كتب العلم إلا كجامع الفضة والذهب؟ وهل المنهوم بها إلا كالحريص الجَشِع عليهما؟ وهل المغرم بحبها إلا ككانزهما؟ وكما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها، كذلك لا تنفع العلوم إلا لمن عمل بها، وراعى واجباتها، فلينظر امرؤ لنفسه، وليغتنم وقته، فإن الطريق مخوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والناقد بصير، والله تعالى بالمرصاد، وإليه المرجع والمعاد.

وهذا سفر من أسفار العلم وآدابه، ألا وهو: (منهاج المتعلم)، لإمام جليل ولعَلَم عظيم من أعلام الأمة الإسلامية، إنه حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى[١]، بحث فيه ثلاثة أبواب بما يخص العلم:

الباب الأول: في العلم.

الباب الثاني: في المعلِّم.

الباب الثالث: في المتعلِّم.

---

(١) قال حاجي خليفة في «كشف الظنون» ٢/ ١٨٧٨: منهاج المتعلم لأبي حامد محمد الغزالي.
وقال الأستاذ عبد الرحمن بدوي في كتابه «مؤلفات الغزالي» ص٤١٩: منهاج المتعلم، قد ورد بهذا العنوان في المخطوط رقم: (٧٤٦١)، بالظاهرية بدمشق.

وقد حصلت على نسختين خطيتين وجدت في إحداهما الكثير من الزيادات على النُسخ المطبوعة في الأسواق.

- منهج التحقيق:

سرت في منهج التحقيق على الشكل التالي:

أولاً- ضبط النص:

١- قابلت الكتاب على نسختين خطيتين، أثبت أرقامها ورمز لوحاتها ضمن النص بين معكوفتين، وسيأتي وصفها.

٢- وضعت فروق النُسخ المخطوطة في الهامش.

٣- وضعت علامات الترقيم المناسبة في الكتاب.

ثانياً- التحقيق والتخريج:

١- خرَّجت الآيات القرآنية، وذلك ضمن النص ما بين معكوفتين.

٢- خرَّجت الأحاديث النبوية والآثار.

٣- ترجمت الأعلام الواردة في الكتاب.

٤- قمت بتخريج الأبيات الشعرية، مع ذكر بحرها.

٥- شرحت غريب الألفاظ من كتب اللغة.

٦- علَّقت على بعض النقاط الغامضة بما يوضحها ويزيل غموضها.

ثالثاً- بقية العمل:

١- وضعت مقدمات اشتملت على:

أ- مقدمة التحقيق.

ب- منهج التحقيق.

ج- ترجمة الإمام الغزالي.

د- وصف المخطوطات.

هـ- صور المخطوطات.

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الإمام الغزالي

أولاً- اسمه ونسبه[1]:

الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين العابدين أبو

---

(١) انظر ترجمته في «طبقات الفقهاء» للشيرازي ص٢٤٨، و«تبيين كذب المفتري» لابن عساكر ص٢٩١، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر ٥٥/ ٢٠٠ (٦٩٦٤)، و«المنتظم» لابن الجوزي ١٧/ ١٢٤، و«خريدة القصر وجريدة العصر في ذكر فضلاء أهل خراسان وهراة» لأبي الفرج الأصبهاني ٢/ ٦٣، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي ٤/ ٤٩، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير ٩/ ١٤٦، و«اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير ٢/ ٣٧٩، و«المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور» لأبي إسحاق الصيرفيني ص٧٦ (١٦١)، و«طبقات الفقهاء الشافعية» لابن الصلاح ١/ ٢٤٩ (٧٠)، و«وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان ٤/ ٢١٦ (٥٨٨)، و«آثار البلاد والعباد» للقزويني ص١٦٩، و«فهرسة اللبلبي للفهري» ص٢٩ (٤)، و«مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور ٧/ ١٢٢، و«السلوك في طبقات العلماء والملوك» لبهاء الدين الكندي ٢/ ٢٤٩، و«المختصر في أخبار البشر» لابن كثير ١/ ٣٠٢، و«المعين في طبقات المحدثين» للذهبي ص١٤٩ (١٦١١)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٩/ ٣٢٢، و«المقتنى في سرد الكنى» للذهبي ١/ ١٦٥ (١٣٠٥)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي ٣٥/ ١١٥، و«العبر في خبر مَنْ غبر» للذهبي ٤/ ١٠، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» لابن الدمياطي ١٩/ ٣٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠، و«تحفة الترك فيما يجب أن يُعمل في الملك» لنجم الدين الطرسوسي ص٧٧، و«مرآة الجنان» لليافعي ٣/ ١٨٦، و«طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي ٦/ ١٩١، و«البداية والنهاية» لابن كثير ١٢/ ١٧٣، و«الوفيات» لأبي العباس الخطيب ص٢٦٦، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ١/ ٢٩٣ (٢٦١)، و«مغاني الأخيار» للعيني ٥/ ٤٥٥، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردى ٥/ ٢٠٣، و«الأنس الجليل» للعليمي ١/ ٢٩٩، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة في مواضع متعددة منه، وأسماء الكتب لعبد اللطيف زاده ص٢٣، و«شذرات الذهب» لابن العماد ٧/ ١٩٦، و«أبجد العلوم» للقنوجي ٣/ ١١٠، و«هدية العارفين» لإسماعيل باشا البغدادي ٦/ ٧٩، و«طبقات المفسرين» للداودي ص١٥٢ (١٩٠)، والزبيدي في مقدمة كتابه «إتحاف السادة المتقين» ١/ ٦ .

وقد أُلِّفت كتب عديدة مفردة في ترجمته وبيان آرائه، منها: «كتاب الغزالي» في سيرته، لطه عبد الباقي سرور، ومثله ليوحنا قمير، ولجميل صليبا، وكامل عياد، ولمحمد رضا، و«الأخلاق عند الغزالي» لزكي مبارك، ولأحمد فريد الرفاعي: «الغزالي»، ولمحمد رضا: «أبو حامد =

حامد بن محمد بن محمد بن أحمد الطُّوسي[1]، الشافعي، الغَزَالي، صاحب التصانيف والذكاء المفرط.

وقد نسبه البعض إلى غزالة - بتخفيف الزاي - وهي بلدته التي وُلِد فيها، وهي نسبة صحيحة من حيث اللغة، والبعض نسبه إلى الغَزَّالي - بتشديد الزاي- نسبة إلى الغزَّال - حِرْفَة والده التي كان يكتسب منها - وهي نسبة صحيحة أيضاً من حيث اللغة.

ثانياً- مولده ونشأته:

ولد بـ (طوس)، سنة خمسين وأربعمائة هجرية (٤٥٠هـ)، وأما والده، فقد كان فقيراً صالحاً لا يأكل إلا من كسب يده، حيث كان يغزل الصوف في دكانه ويبيعه في دكانه بطوس، وكان يختلف في أوقات فراغه إلى مجالسة العلماء، ويطوف عليهم ويتوفر على خدمتهم، ويجدّ في الإحسان إليهم، والتفقه بما يمكنه عليهم، وكان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع إلى الله أن يرزقه ابناً يجعله فقيهاً وواعظاً، فرزقه الله بولدين هما أبو حامد وأخوه أحمد.

غير أن الأقدار لم تمهله حتى يرى رجاءه قد تحقق، ودعوته قد استجيبت، فقد توفِّي وما يزال أبو حامد صغيراً لم يبلغ سن الرشد.

أما أم (أبي حامد) فقد عاشت حتى شهدت بزوغ شمس ابنها في سماء المجد، وتبوأه أكبر مركز علمي في ذلك العهد.

= الغزالي: حياته ومصنفاته»، ولأبي بكر عبد الرازق: في «صحبة الغزالي»، ولسليمان دنيا: «الحقيقة في نظر الغزالي»، وللشيخ محمد الخضري «رسالة في ترجمته وتعاليمه وآرائه»، وبالتركية: «إمام غزالي، في تاريخه وفلسفته» لرضاء الدين بن فخر الدين، ولحسن عبد اللطيف عزام الفيومي «رسالة في: ما للغزالي وما عليه».

(١) الطوسي - بضم الطاء وسكون الواو وفي آخرها سين مهملة -: هذه النسبة إلى طوس، وهي قرية من قرى بخارى. انظر «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير ٢/ ٢٨٨ .

وكان والده قد أوصى به وبأخيه إلى صديق له متصوف من أهل الخير، وقال له: إن لي لتأسُّفاً عظيماً على تعلُّم الخط، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين، فعلِّمْهُما ولا عليك أن تنفذ في ذلك جميع ما أخلفه بهما، فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما، إلا أن ذلك النَّزر اليسير الذي خلَّفه لهما أبوهما ما فتئ أن نفد، وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما، فقال لهما: اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما، وأنا رجل - من الفقر والتجريد - لا مال لي فأواسيكما به، وأَصْلَحُ ما أرى لكما أن تلجأا إلى مدرسة، فإنكما من طلبة العلم، فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما.

ففعلا ذلك، وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما، وكان الغزالي يحكي هذا ويقول: **طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله**[١].

ثالثاً- اجتهاده في طلب العلم:

قرأ في صباه طرفاً من الفقه ببلده طوس على أستاذه أحمد بن محمد الراذكاني[٢]، وكان أستاذه الأول بها يوسف النساج، وبعد تناول الغزالي لهذا القدر اليسير من الفقه في بلدته، يشد الرحال إلى جرجان، حيث يلتقي بأستاذه أبي نصر الإسماعيلي، ويدون ما يسمعه منه كمرحلة أولى من التلقي والتعليم، ثم يرجع إلى طوس، وفي أثناء رجوعه حدث له ما جعله يحفظ ما كتب، ويفهم ما علم، وفي هذا يقول: قُطِعَت علينا الطريق، وأخذ العيارون[٣] جميع ما معي، ومضوا فتبعتهم، فالتفت إليَّ مقدمهم وقال: ارجع ويحك وإلا

---

(١) انظر ما تقدم في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٥٥/ ٢٠٥، و«طبقات الفقهاء الشافعية» لابن الصلاح ١/ ٢٥٠، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٩/ ٣٢٥، و«طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي ٦/ ١٩٣، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ١/ ٢٩٥ .

(٢) الراذكاني - بفتح الراء والذال والكاف وفي آخرها نون -: منسوب إلى الراذكان، وهي بليدة صغيرة بنواحي طوس. انظر «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير ٢/ ٥ .

(٣) أي: الذين يقطعون الطرقات ويسرقون أهلها. انظر «لسان العرب» لابن منظور، مادة (عير).

هلكت، قلت له: أسألك بالذي ترجو السلامة منه، أن ترد عليَّ تعليقتي فقط، فما هي بشيء تنتفعون به، فقال لي: وما هي تعليقتك؟ فقلت: كتب في تلك المخلاة[١] هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها، فضحك وقال: كيف تدَّعي أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك، فتجرَّدت من معرفتها وبقيت بلا علم؟! ثم أمر بعض أصحابه فسلم إليَّ المخلاة.

قال الغزالي: هذا مستَنْطق أنطقه الله ليرشد به أمري، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين، حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بحيث لو قطع علي الطريق لم أتجرد من علمي[٢].

رابعاً- ملازمته لإمام الحرمين (الجويني):

قَدِم الغزالي نيسابور، وهي مدينة العلم بعد بغداد، ولازم إمام الحرمين الجويني، وجدَّ واجتهد حتى برع في المذهب، والخلاف، والجدل، والأصول - وكانت العلوم السائدة في عصره - وأُعْجِب إمام الحرمين بذكائه وغوصه على المعاني الدقيقة، واتساع معلوماته، فكان يقول: الغزالي بحر مغدق[٣].

وفاق أقرانه - وهم أربعمئة - حتى أصبح معيداً لأستاذه ونائباً عنه، وقيل: إنه ألف المنخول، فرآه أبو المعالي، فقال: دفنتني وأنا حيٌّ، فهلا صبرت الآن؟ كتابك غطَّى على كتابي[٤].

---

(١) الخَلَى مقصور: الرَّطب من الحشيش، الواحدة خَلاةٌ، والمِخْلاةُ ما يُجعل فيه الخلى. انظر «مختار الصحاح» للرازي، مادة (خلا).

والمراد به هنا: الوعاء الذي وضع فيه كتبه.

(٢) انظر «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي ٦/ ١٩٤- ١٩٥، و«الإمام الغزالي لصالح الشامي» ص ٢٠ .

(٣) انظر «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي ٦/ ١٩٦ .

(٤) انظر «المنتظم» لابن الجوزي ١٧/ ١٢٥، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٩/ ٣٣٥، و«تاريخ الإسلام» للذهبي ٣٥/ ١٢٦، و«مرآة الجنان» لليافعي ٣/ ١٨١ .

خامساً- تعيينه مدرساً على المدرسة النظامية ببغداد:

ولما مات إمام الحرمين عام (٤٧٨هـ)، خرج الغزالي إلى المعسكر قاصداً الوزير نظام الملك، وهو لم يتجاوز الثامنة والعشرين من سِنِّه، وقد ظهر فضله وذاع صيته، وكان مجلس الوزير مجمع أهل العلم وملاذهم، وكانت المجالس - حتى المآتم - لا تخلو من المناظرات الفقهية، والمطارحات الكلامية، فناظر الغزالي الأئمة العلماء في مجلس نظام الملك، وقهر الخصوم، وظهر كلامه عليهم، واعترفوا بفضله، وتلقَّاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل، وولاه تدريس مدرسته النظامية ببغداد، وكان ذلك غاية ما يطمح إليه العلماء ويتنافسون فيه، فقدم بغداد في سنة (٤٤٨هـ) ولم يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره، وقلَّما تقلَّد هذا المنصب الرفيع عالم وهو في هذه السِّنّ، درَّس الغزالي بالنظامية، وأعجب الخلق حسن كلامه، وكمال فضله، وفصاحة لسانه، ونُكَتُهُ الدقيقة، وإشارته اللطيفة، وأحبُّوه[(١)].

قال معاصره عبد الغافر الفارسي: وعلت حشمته ودرجته في بغداد، حتى كانت تغلب حشمة الأكابر والأمراء، ودار الخلافة[(٢)].

وكان يقرأ عليه جمٌّ غفير من الطلبة المحصِّلين، يقول في كتابه «المنقذ من الضلال» في وصف حاله والنظامية: وأنا ممنُوٌّ بالتدريس والإفادة لثلاثمائة نفس من الطلبة ببغداد[(٣)].

وأخذ في تأليف الأصول، والفقه، والكلام، والحكمة[(٤)].

سادساً- من أسباب تفوقه العلمي وشهرته:

تجمعت عدة عوامل كانت سبباً في نبوغ الغزالي وشهرته؛ منها:

---

(١) انظر «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي ٦/ ٢٠٥، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٩/ ٣٢٣.
(٢) انظر «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي ٦/ ٢٠٥.
(٣) انظر «المنقذ من الضلال» للغزالي ص١٧، و«طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي ٦/ ٢٤٨.
(٤) انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٩/ ٣٢٣.

نشأته العلمية: فقد كان شغوفاً بالعلم، باحثاً عن اليقين وعن حقائق الأمور، ودرس علوم عصره ونبغ فيها، وفاق أقرانه.

- ما كان يتمتع به من حافظة قوية.

- ما كان يتمتع به من شدة الذكاء، فقد كان شديد الذكاء، سديد النظر، مفرط الإدراك، بعيد الغور، غواصاً على المعاني الدقيقة.

- تدريسه بالمدرسة النظامية التي أنشأها السلاجقة لتعليم مبادئ أهل السنة، فقد كان ذلك من أسباب شهرته[١].

سابعاً- التحول الكبير الذي غير مجرى حياة الغزالي رحمه الله:

بلغ الغزالي في تلك الأيام قمة المجد، وأتته الدنيا خاضعة ذليلة، أتته بالمال والشهرة وذيوع الاسم، كما أتته بالجاه ونفوذ الكلمة، واستمتع بذلك كله، ومع ذلك لم ينقطع عن طلب العلم، فطالع العلوم الدقيقة والكتب المصنفة فيها، مما كان له كبير الأثر في التحول الكبير الذي غير مجرى حياته فيما بعد[٢].

قال الغزالي في كتابه الموسوم بـ: «المنقذ من الضلال»: ابتدأت بمطالعة كتبهم مثل «قوت القلوب» لأبي طالب المكي رحمه الله، وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد... فعلمت يقيناً أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعليم، بل بالذوق والسلوك، وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكفّ النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله: قطع علاقة القلب عن الدنيا، بالتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمة

---

(١) انظر «دولة السلاجقة» د. علي محمد الصلابي ص٤٥٠، و«التصوف بين الغزالي وابن تيمية» ص٥٠.

(٢) انظر «الإمام الغزالي لصالح الشامي» ص٢٣، و«دولة السلاجقة» د. علي الصلابي ص٤٥٠.

على الله تعالى، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال، والهرب من الشواغل والعلائق.

ثم لاحظت أحوالي: فإذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحدقت بي من جميع الجوانب، ولاحظت أعمالي، وأحسنها التدريس والتعليم، فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة، ثم تفكَّرت في نيتي في التدريس، فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت، فتيقنت أني على شفا جُرُف هارٍ، وأني أشفيت على النار إن لم أشتغل بتلافي الأحوال، فلم أزل أفكر فيه مدة، وأنا بَعْدُ على مقام الاختيار، أصمم العزم على الخروج من بغداد، ومفارقة تلك الأحوال يوماً، وأحل العزم يوماً، وأقدم فيه رِجلاً، وأؤخِّر عنه أخرى، لا تَصْدُق لي رغبة في طلب الآخرة بُكْرَة إلا وتحمل عليها جنود الشهوة جملة فتفترها عشية، فصارت شهوات الدنيا تجاذبني سلاسلها إلى المقام، ومنادي الإيمان ينادي: الرحيل الرحيل، فلم يبق من العمر إلا القليل، وبين يديك السفر الطويل، وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل، فإن لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد؟! وإن لم تقطع هذه العوائق فمتى تقطع؟!.

فعند ذلك تنبعث الداعية، وينجزم العزم على الهرب والفرار، ثم يعود الشيطان ويقول: هذه الحال عارضة، إياك أن تطاوعها، فإنها سريعة الزوال، فإن أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشأن المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيض، والأمن المسلم الصافي عن منازعة الخصوم، ربما التفتت إليك نفسك، ولا يتيسر لك المعاودة.

فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر، أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار؛ إذ قفل الله على لساني حتى اعتُقِل عن التدريس،

فكنت أجاهد نفسي أن أدرّس يوماً واحداً تطييباً للقلوب المختلفة إليَّ، فكان لساني لا ينطلق بكلمة واحدة، ولا أستطيعها البتة. . . ثم لما أحسست بعجزي، وسقط بالكلية اختياري، التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له، فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وسهَّل على قلبي الإعراض عن الجاه والمال والأولاد والأصحاب(١).

وغادر الغزالي بغداد في شهر ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، فحج وتوجه إلى الشام، فأقام بها عشر سنين، قضى بعضها في بيت المقدس، وكان غالب وقته فيها عزلة وخلوة، ورياضة ومجاهدة للنفس، واشتغالاً بتزكيتها وتصفية القلب لذكر الله تعالى، وكان يعتكف في منارة مسجد دمشق طول النهار(٢).

يقول معاصره عبد الغافر: وسلك طريق الزهد والتأله، وترك الحشمة، وطرح ما نال من الدرجة للاشتغال بأسباب التقوى وزاد الآخرة، فخرج عما كان فيه، وقصد بيت الله تعالى وحج ثم دخل الشام، وأقام في تلك الديار قريباً من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد المعظَّمة، وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يُسْبق إليها، مثل إحياء علوم الدين، والكتب المختصرة منها، مثل: الأربعين وغيرها من الرسائل التي مَنْ تأملها عَلِم محل الرجل من فنون العلم، وأخذ في مجاهدة النفس، وتغيير الأخلاق، وتحسين الشمائل، وتهذيب المعاش، فانقلب شيطان الرعونة؛ وطلب الرياسة والجاه؛ والتخلق بالأخلاق الذميمة؛ إلى سكون النفس، وكرم الأخلاق، والفراغ عن الرسوم والترتيبات، وتزيًّا بزيِّ الصالحين، وقصر الأمل، ووقف الأوقات على هداية الخلق، ودعائهم إلى ما يعنيهم من أمر الآخرة وتبغيض الدنيا، والاشتغال بها على السالكين(٣).

---

(١) انظر «المنقذ من الضلال» للغزالي ص٤٣، وما بعدها.

(٢) انظر «الإمام الغزالي لصالح الشامي» ص٢٥، و«دولة السلاجقة» د. علي الصلابي ص٤٥٢ .

(٣) انظر «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر ص٢٩٣، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر ٢٠١/٥٥، و«الإمام الغزالي لصالح الشامي» ص٢٦، و«دولة السلاجقة» د. علي الصلابي ص٤٥٢ .

ثامناً- عودته للتصدي للتعليم بعد العزلة:

ثم عاد بعد تلك العزلة التي استمرت عشر سنوات إلى بلده طوس، ليتابع عزلته سنة أخرى، وتحت إلحاح الولاة، وتكرار طلبهم بالخروج إلى الناس خرج إلى نيسابور ليدرِّس بالمدرسة النظامية فيها، وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة (٤٩٩هـ)، وقال في ذلك: ويسر الله الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربع مائة، وبلغت مدة العزلة إحدى عشرة سنة[١].

ثم يتابع الغزالي تفاصيل عودته إلى التعليم، وأنها كانت بنية جديدة، فيقول: وأنا أعلم أني وإن رجعت إلى نشر العلم، فما رجعت، فإن الرجوع عود إلى مكان، وكنت في الزمان أنشر العلم الذي به يكسب الجاه، وأدعو إليه بقولي وعملي، وكان ذلك قصدي ونيتي.

وأما الآن فأدعو إلى العلم الذي به يُتْرَكُ الجاه، ويُعْرف به سقوط رتبة الجاه، هذا هو الآن نيتي وقصدي وأمنيتي، يعلم الله ذلك مني، وأنا أبغي أن أصلح نفسي وغيري، ولكني أؤمن إيماناً ومشاهدة: أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وأني لم أتحرك لكنه حركني، وأني لم أعمل ولكنه استعملني، فأسأله أن يصلحني أولاً ثم يصلح بي، ويهديني ثم يهدي بي، وأن يريني الحق حقاً ويرزقني اتباعه، ويريني الباطل باطلاً ويرزقني اجتنابه[٢].

ولم تطل إقامته في نيسابور وكانت المدة التي درَّسها في النظامية فيها يسيرة، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في طوس، واتخذ في جواره مدرسة للطلبة، وخانقاه للصوفية، ووزَّع أوقاته على وظائف: من ختم القرآن، ومجالسة ذوي القلوب، والقعود للتدريس حتى توفي بعد مقاساةٍ لأنواع من

---

(١) انظر «المنقذ من الضلال» للغزالي ص٦٤ .

(٢) انظر «المنقذ من الضلال» للغزالي ص٦٤ ، و«دولة السلاجقة» د. علي الصلابي ص٤٥٢ .

القصد، والمناوأة من الخصوم، والسعي فيه إلى الملوك، وحفظ الله له عن نوش أيدي النكبات.

وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين، ولو عاش لَسَبَقَ الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام، وهذا توفيق من الله تعالى كبير للإمام الغزالي أن جعل خاتمته على الحديث والسنة، ونحسب أن الله تعالى وفَّقه لهذه النهاية بكرم وفضل منه ومنة.

ولم يتفق له أن يروي، ولم يعقب إلا البنات، وكان له من الأسباب إرثاً وكسباً ما يقوم بكفايته، وقد عُرضت عليه أموال فما قبلها، ومما كان يعترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو في أثناء كلامه، وروجع فيه فأنصف، واعترف أنه ما مارسه، واكتفى بما كان يحتاج إليه في كلامه، مع أنه كان يُؤلِّف الخُطب، ويشرح الكتب بالعبارة التي يعجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها[١].

تاسعاً- وفاته:

توفي الإمام الغزالي يوم الإثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من سنة (٥٠٥هـ)، ودُفِن بطوس رحمه الله تعالى، وقد سأله بعض أصحابه وهو في السِّياق فقال: أوصني، فقال له: عليك بالإخلاص، فلم يزل يُكرِّرُها حتى مات، رحمه الله.

قال أخوه أحمد: لما كان يوم الإثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد، وصلى، وقال: عليَّ بالكفن، فأخذه وقبَّله، وتركه على عينيه، وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مدَّ رجليه، واستقبل القبلة، ومات قبل الإسفار.

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٩/ ٣٢٤- ٣٢٥، و«دولة السلاجقة» د. علي الصلابي ص٤٥٢ .

عاشراً- أشهر مؤلفاته:

١- التعليقة في فروع المذهب، وهي التي أخذها منه قُطَّاع الطرق، ثم ردوها إليه.

٢- المنخول في أصول الفقه.

٣- البسيط في فروع المذهب، قال فيه ابن خلكان: ما صُنِّف في الإسلام مثله[(١)].

٤- الوسيط (ملخص من البسيط).

٥- الوجيز.

٦- خلاصة المختصر ونقاوة المعتصر، أو الخلاصة في الفقه الشافعي.

٧- المنتحل في علم الجدل في المناظرة والخلاف.

٨- مآخذ الخلاف.

٩- تحصين المآخذ في علم الخلاف.

١٠- المبادئ والغايات في أصول الفقه.

١١- شفاء الغليل في القياس والتعليل.

١٢- فتوى لابن تاشفين (من جملة فتاوى الغزالي).

١٣- الفتوى اليزيدية (في حكم من كفَّر يزيد بن معاوية).

١٤- مقاصد الفلاسفة (بيان مبادئ الفلسفة).

١٥- تهافت الفلاسفة.

١٦- معيار العلم.

١٧- معيار العقول.

١٨- محك النظر في المنطق، ويذكر الذهبي: أنه ألفه بدمشق[(٢)].

---

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ١٦٨ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/ ٣٢٤ .

١٩- ميزان العقل.

٢٠- المستظهري، وهو رد على الباطنية.

٢١- حجة الحق، وذلك في بيان إفساد مذهب الباطنية.

٢٢- قواصم الباطنية، يرد فيه على شُبَهِهِم.

٢٣- الاقتصاد في الاعتقاد.

٢٤- الرسالة القدسية في العقائد.

٢٥- المعارف العقلية والأسرار الإلهية.

٢٦- إحياء علوم الدين.

٢٧- المنقذ من الضلال.

٢٨- المستصفى في علم الأصول.

٢٩- منهاج العابدين في الزهد والأخلاق والعبادات.

٣٠- إلجام العوام عن علم الكلام، وهو آخر كتبه التي ألفها سنة (٥٠٥هـ)، وقبيل موته بأيام، جرى على مذهب السلف، ونسب ما دونه من المذاهب إلى البدعة[١].

حادي عشر- من شعره:

قال:

سقمي في الحب عافيتي ... ووجودي في الهوى عدمي

وعذاب يرتضون به ... في فمي أحلى من النعم

ما لضر في محبتكم ... عندنا والله من ألم

وقال أيضاً:

فقهاؤنا كذبالة النبراس ... هي في الحريق وضوؤها للناس

(١) انظر «أبو حامد الغزالي والتصوف» عبد الرحمن دمشقية ص٣٥- ٤٠، و«دولة السلاجقة» د. علي محمد الصلابي ص٤٥٥ .

خبر دميم تحت رائق منظر كالفضة البيضاء فوق نحاس

وقال أيضاً:

حلت عقارب صدغه من خده قمراً فجل بها عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها ومن العجائب كيف حلت فيه

ثاني عشر- ما قيل في مدحه:

- قال أستاذه إمام الحرمين الجويني: الغزالي بحر مغدق.

- وقال تلميذه محمد بن يحيى: الغزالي هو الشافعي الثاني.

- وقال ابن السبكي: هو حجة الإسلام ومحجة الدين التي يُتَوَصَّل بها إلى دار السلام، جامع أشتات العلوم، والمبرز في المنقول منها والمفهوم... كان رضي الله عنه ضِرغاماً إلا أن الأُسُوْد تتضاءل بين يديه وتتوارى، وبدراً تماماً إلا أن هداه يشرق نهاراً، وبَشَراً من الخلق ولكنه الطود العظيم، وبعض الخلق لكن مثلما بعض الحجر الدُّرُّ النظيم.

- وقال محمد بن يحيى النيسابوري: لا يصل إلى معرفة علم الغزالي وفضله إلا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله.

- وقال عبد الغافر بن إسماعيل الخطيب الفارسي خطيب نيسابور: هو حجة الإسلام والمسلمين، إمام أئمة الدين، مَن لم تَرَ العيون مثله لساناً وبياناً ونطقاً وخاطراً وذكاءً وطبعاً.

- وقال الإمام الذهبي: هو الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان؛ صاحب التصانيف والذكاء المفرط.

- وقال ابن الدمياطي: هو إمام الفقهاء على الإطلاق، ورباني الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه، وعين وقته وأوانه، ومن شاع ذكره في البلاد، واشتهر فضله بين العباد.

قال اليافعي:

وإحياء علوم الدين طالعه تنتفع ببحر علوم المستنير المحصل
أبي حامد الغزالي غزل مدقق من الغزل لم يغزل كذلك بمغزل
دُعِي حجة الإسلام لا شك أنه لذلك كفء كامل للتأهل
له في منامي قلت: إنك حجة لإسلامنا لي قال: ما شئت لي قل

وقال ابن السبكي يمدح الإمام الغزالي وكتابه «الإحياء»:

لمحمد بن محمد بن محمد فضل على العلماء بالتمكين
أحيا علوم الدين بعد مماتها بكتابه إحيا علوم الدين

ومما أنشد فيه أنشد أبو حفص عمرو بن عبد العزيز بن عبيد بن يوسف الطرابلسي:

هذَّب المذهب حبر أحسنَ الله خلاصه
ببسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

ثالث عشر- رثاؤه:

وقال أبو المظفر الأبيوردي يرثيه:

بكى على حجة الإسلام حين ثوى من كل حي عظيم القدر أشرفه
فما لمن يمتري في الله عبرته على أبي حامد لاح يعنِّفه
تلك الرزية تستوهي قوى جلدي فالطرف تُسْهِرُه والدمع تنزفه
فما له خلةٌ في الزهد تنكره وما له شبهةٌ في العلم تعرفه
مضى فأعظم مفقود فجعت به من لا نظير له في الناس يخلفه

وقال القاضي عبد الملك بن أحمد بن محمد بن المعافى رحمهم الله تعالى:

بكيت بعيني واجم القلب واله فتى لم يوال الحق من لم يواله
وسيبت دمعاً طال ما قد حبسته وقلت لجفني: واله ثم واله
أبا حامد محيي العلوم ومن بقي صدى الدين والإسلام وفق مقاله

وصف المخطوطات

النسخة الأولى (س):

- نسخة محفوظة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، وقد اعتمدتها أصلاً.
- رقمها (١٥٧٨١).
- عدد أوراقها (١٧) ورقة.
- قياسها (٢١ × ١٥).
- في كل صفحة (١٧) سطر.
- الناسخ: غير معروف.
- تاريخ النسخ: القرن الحادي عشر الهجري.
- كُتِبت بخط جيد ومعتاد، متقاربة حروفه، وعُنونت رؤوس الفقرات بالخط الأحمر.
- عليها تصحيحات وتعليقات.

النسخة الثانية (ت):

- نسخة محفوظة في المكتبة التيمورية.
- رقمها (١١٥٩٣).
- عدد أوراقها (٢٤) ورقة.
- قياسها (١٢,٥ × ١٤).
- في كل صفحة (١٥) سطر.
- الناسخ: غير معروف.
- تاريخ النسخ: (١٢٥٠هـ).
- كُتِبت بخط جيد ومعتاد.
- عليها تصحيحات.

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

الحمدُ لله موجد العلمِ للمجدّين، ومورث المعرفةِ للطّالبين، والصلاةُ والسّلام على محمّد أعْلَمِ المعلّمين، وعلى آله وأصحابه أكرم المتعلّمين.

وبعدُ:

فإنّي أُريدُ - بحول الله تعالى وقوته - أنْ أجمعَ مسائل ممّا يتعلّقُ بالعلم والمعلّم، والمتعلّم - وإن تكلموا فيها كثيراً - إلاّ أنّني أجمعُ ما فيها منَ المهمّاتِ، وما يورثُ الجرأة على إقدامِ العلم، وأرجو [منه][1] تعالى أنْ يُعطيَني الإقدامَ والجدَّ على العلمِ والعملِ به، وسمّيتها بـ: «منهاج المتعلّم»، والله الهادي إلى سبيلِ الصّواب.

ورتّبتُه على ثلاثة أبواب:

---

(١) في (ت): من الله.

الباب الأول في العلم

[فضله ومكانته وآدابه]

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

بدأ الله في الشهادة بنفسه، وثنّى بالملائكة، وثلّث بأولي العلم.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ [ت١/أ] عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

[طلب العلم فريضة]

قال رسول الله ﷺ: «**طلبُ العلمِ فريضةٌ**[١] **على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ**»[٢].

---

(١) قال المناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير» ١/ ١٦٤: هو العلم الذي لا يُعْذَر المكلف في الجهل به، والعلم ستة أقسام:

الأول - فرض كفاية: إذا قام به البعض سقط الحرج عن الكل، وإلا أثم الكل.

الثاني- فرض عين: وهو ما يحتاجه المكلف في الفرض، كوضوء وصلاة وصوم.

الثالث- مندوب: كالتبحر في العلوم الشرعية.

الرابع- حرام: كالشعبذة والفلسفة والتنجيم والسحر.

الخامس- مكروه: كأشعار الغزل والبطالة.

السادس- مباح: كشعر لا سُخْفَ فيه ولا تثبيط عن خير.

(٢) أخرجه ابن ماجه في «المقدمة»، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٤)، والبيهقي في =

وقال عليه أكملُ الصّلاة والسّلام: «**اطلُبِ العلمَ، ولو بينك وبينَهُ بحرٌ من النّار**»[(١)].

وقال عليه أفضل الصّلاة والسّلام: «**اطلب العلمَ ولو بالصّين**»[(٢)].

= «شعب الإيمان» ٢/ ٢٥٣ (١٦٦٣)، من حديث أنس، بلفظ: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ على كل مُسْلِمٍ، وَوَاضِعُ العِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الخَنَازِيرِ الجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ»، قال ابن حجر في «لسان الميزان» ١/ ١١٦ (٣٥٣)، والذهبي في «ميزان الاعتدال» ١/ ١٩٦: قال أحمد بن حنبل: هذا كَذِبٌ، يعني: بهذا الإسناد، وإلا فالمتن له طرق ضعيفة، وقال البيهقي: هذا الحديث متنه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد رُوِي من أوجه كلها ضعيفة. اهـ، ولم أجده بلفظ المصنِّف، ولكن قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص٤٤٢: ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث (ومسلمة) وليس لها ذكر في شيء من طُرُقه، وإن كان معناها صحيحاً.

قال المناوي في «فيض القدير» ١/ ٥٤٢: رواه ابن ماجه والبيهقي عن أنس بن مالك، ثم نقل قول البيهقي، وابن عبد البر في كتاب «فضل العلم»، والعقيلي في «الضعفاء»، عن جعفر بن محمد الزعفراني، عن أحمد بن أبي سريج الرازي، عن حماد بن خالد الخياط، عن طريف بن سلمان بن عاتكة، عن أنس، وابن عدي في «الكامل» عن محمد بن حسن بن قتيبة، عن عباس بن أبي إسماعيل، عن الحسن بن عطية الكوفي، عن أبي عاتكة، عن أنس، قال ابن حبان: باطل لا أصل له، والحسن ضعيف، وأبو عاتكة منكر الحديث، وفي «الميزان»: أبو عاتكة عن أنس مختلف في اسمه على ضعفه من طريق البيهقي هذا المذكور عن أنس بن مالك، قال السخاوي وغيره: وهو ضعيف من الوجهين، بل قال ابن حبان: باطل لا أصل له، وحكم ابن الجوزي بوضعه، ونوزع بقول المِزِّي: له طُرُق ربما يصل بمجموعها إلى الحَسَن، ويقول الذهبي في «تلخيص الواهيات»: رُوِيَ من عِدَّة طرق واهية، وبعضها صالح.

(١) لم أجده.

(٢) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» ٢/ ٢٣٠، وابن حبان في «المجروحين» ١/ ٣٨٢، وابن عدي في «الكامل» ٤/ ١١٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٥٣ (١٦٦٣)، وابن عبد البر في «العلم» ١/ ٧، والخطيب في «تاريخ بغداد» ٩/ ٣٦٣، والديلمي في «مسند الفردوس» ١/ ٧٨ (٢٣٦)، وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٥٤، من حديث أنس.

قال البزار في مسنده ١/ ١٧٥ (٩٥): وحديث أبي العاتكة: «اطلبوا العلم ولو بالصين»، لا يُعْرف أبو العاتكة، ولا يُدْرَى من أين هو، فليس لهذا الحديث أصل. وقال العقيلي: لا يُحْفظ: «ولو بالصين» إلا عن أبي عاتكة، وهو متروك. وقال ابن حبان: رواه أبو عاتكة عن أنس، وأبو عاتكة منكر الحديث جداً، يروي عن أنس ما لا يُشْبِه حديثه، وربما روى عنه ما ليس من حديثه. وقال البيهقي في «الشعب»: هذا الحديث شِبْه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد رُوِيَ من أوجه كلها ضعيفة. وقال ابن الجوزي في «الموضوعات»: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. =

وقال عليه أشرفُ الصلاة والسلام [س٢/ أ]: «**اطلب العلمَ من المهدِ إلى اللّحدِ**»[١].

وفي الخلاصة:

كلُّ عبادةٍ كالصّلاة والزّكاة والصّوم، فُرضَتْ في وقتٍ دونَ وقتٍ، وتعلّمُ العلم فرضٌ في جميع الحالات، وأوحى الله تعالى لداود عليه السلام: «يا داود اتخذ نعليك من حديدٍ، [وعصاك][٢] من حديدٍ، واطلب العلمَ حتى ينقطع نعلاك، وينكسر عصاك»[٣].

وقيل: إنّ علْمَ ما يتعلق بنفسك في جميع الأحوال بمنزلة الطعام والشراب، لا بدَّ [لكلِّ أحد][٤] من ذلك، فإنّ حياةَ القلبِ به كما أنَّ حياةَ البدن بهما، كما قال النبيُّ ﷺ: «**من كان حياً بالعلم لم يمت أبداً**»[٥].

ثم اعلم: أنَّ كلَّ علم يُتوصَّلُ به إلى فرض عين[٦]؛ فتحصيله فرضُ عينٍ، فإنَّ العلم المتعلق بمعرفة الله تعالى، وبالصلاة والزكاة والصوم والحج، وبما يتعلق بالحلال والحرام وغير ذلك، فرض لا بدَّ لكلِّ مسلم ومسلمةٍ طلبُهُ [ت١/ ب]، وتحصيله وإقامتهُ كالصلاة والزكاة وغيرهما.

= وأخرجه ابن عدي في «الكامل» ١/ ١٧٧ من حديث أبي هريرة، وقال: وهذا بهذا الإسناد باطل.

(١) لم أجده.

(٢) في (س): وعصاً.

(٣) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» ص٥٦ (٣١٣)، وابن عبد البر في «العلم» ١/ ٩٥، عن مالك بن دينار، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٦١ لابن أبي الدنيا في التفكر عنه، والخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب العلم» ص٨٦ (٩)، عن معاوية بن يحيى، والدارمي في «المقدمة»، باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه (٥٦٥)، عن عبد الله بن عبد الرحمن التستري.

(٤) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٥) لم أجده.

(٦) فرض العين: هو ما وجب على كل واحد لا يسقط عنه بفعل غيره له. انظر «المطلع على أبواب المقنع» لأبي الفتح البعلي ص٤٨ .

ويسأل [الله تعالى][(١)] عن كل مسألةٍ متعلقة بها، ويعاقب عليها، ولا يُعفى عنه بتوبةٍ واستغفارٍ، ولا يعذر، ويعاقب عليه كما يعاقب على ترك الصلاة والزكاة وغيرهما، ويُفَسَّق تاركُها كما يُفَسَّق تارك الصلاة والزكاة وغيرهما من سائر الفروض، ويسقطُ عن الشهادة كما يسقط تارك الصلاة عنها، وعلى هذا عُلِمَ أحكام فرضِ الكفاية، والسنة المؤكَّدة [س٢/ب]، وغير المؤكَّدة، والمندوب، والمستحبّ، وعُلِمَ أيضاً حرمةُ تعلُّمِ ما يتوصَّلُ به إلى الحرام، كتعلُّم السحرِ [والنارنجات[(٢)]][(٣)]، والنجوم المحرّمات[(٤)].

سُئل النبيُّ ﷺ: أيُّ الأعمال أفضلُ؟ قال عليه الصلاة والسلام: «**العلم**»، فقيل: أيُّ الأعمال تريد يا رسول الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: «**العلم**»،

---

(١) ما بين معكوفتين ساقط من (س).

(٢) النِّيرَجُ: أُخَذٌ تُشْبِه السِّحْرَ، وليست بحقيقته ولا كالسِّحْر، إنما هو تشبيه وتلبيس. انظر «لسان العرب» لابن منظور، مادة (نرج).

(٣) في (س): والنارنجيات.

(٤) قال الخطابي في «معالم السنن» ٤/ ٢١٢: علم النجوم المنهي عنه هو ما يدَّعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغيُّر الأسعار، وما كان في معانيها من الأمور يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها... ثم قال: فأما علم النجوم الذي يُدْرَك من طريق المشاهدة والحِسِّ الذي يُعْرَف به الزوال، ويُعْلَم به جهة القبلة، فإنه غير داخل فيما نُهِيَ عنه.

وقال البغوي في «شرح السنة» ١٢/ ١٨٣: والمنهي من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث التي لم تقع في مستقبل الزمان، مثل إخبارهم بوقت هبوب الرياح، ومجيء المطر، ووقوع الثلج، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار ونحوها، يزعمون أنهم يستدركون معرفتها بسير الكواكب، واجتماعها وافتراقها، وهذا علم استأثر الله عز وجل به لا يعلمه أحد غيره، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ [لقمان: ٣٤]، فأما ما يُدْرَك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يُعْرَف به الزوال، وجهة القبلة، فإنه غير داخل فيما نُهِيَ عنه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقال جل ذكره: ﴿وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون﴾ [النحل: ١٦] فأخبر الله سبحانه وتعالى أن النجوم طُرُق لمعرفة الأوقات والمسالك، ولولاها لم يَهْتَدِ النائي عن الكعبة إلى استقبالها، روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: تعلّموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق، ثم أمسكوا.

فقيل: تُسْأل عن العمل، وتُجيب عن العلم يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن العملَ القليلَ مع العلم ينفعُ، وإنَّ العملَ الكثير مع الجهل لا ينفع**»[(١)].

واعلم: أنَّ الله تعالى جعل العلمَ وسيلةً إلى كلِّ فضيلةٍ، وأنَّ العلمَ ليزدادُ به الشريف شرفاً، ويرفع العبيد إلى مجالس الملوك.

[العلم ثلاثة]

قال الحكماء[(٢)]: العلم ثلاثةُ أحرفٍ: عينٌ، ولامٌ، وميمٌ، [فاشتقاقٌ][(٣)] العينِ منَ العلّيين[(٤)]، واللام من اللطف [ت٢/أ]، والميم منَ الملكِ، فالعين يجرُّ صاحبَه إلى العليين، واللام تجعله لطيفاً في الدنيا والآخرة، والميمُ تجعله مَلِكاً على الخلق، ويعطيه الله تعالى في العلم ببركة العين العزَّة، وببركة اللام اللّطافة، وببركة الميم المحبّةَ والملاءمةَ.

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ٤/ ١٠١، وابن عبد البر في «العلم» ١/ ٤٥، من حديث أنس رضي الله عنه، بلفظ: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «العلم بالله عز وجل»، قال: يا رسول الله، أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «العلم بالله»، قال: يا رسول الله، أسألك عن العمل وتخبرني عن العلم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن قليل العمل ينفع مع العلم، وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل»، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» ١/ ٧: أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف. اهـ، وضعَّفه المناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير» ١/ ١٨١، والعجلوني في «كشف الخفاء» ٢/ ١١١ (١٨٢٧).
وأخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» ص٣٠٧ (٤٦٦)، من قول ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) نُسِب ذلك لسيدنا علي رضي الله عنه كما في السلوك في طبقات العلماء والملوك لبهاء الدين الكندي ١/ ٦٤ .

(٣) في (ت): واشتقاق.

(٤) قال ابن الأثير في «النهاية»، مادة (علا): عِلِّيُّون: اسم للسماء السابعة، وقيل: هو اسمٌ لدِيوَان الملائكة الحَفَظَة، تُرْفَع إليه أعمالُ الصالحين من العباد، وقيل: المراد به أعلى الأمْكِنَة وأشْرَف المرَاتِب من الله في الدار الآخرة.

[شرف العلم]

ثم اعلم: أنَّ شرفَ العلم لا يخفى على أحدٍ من ذوي العقول، مع أنَّه مختص بالإنسانية؛ لأنّ جميعَ الخصال سوى العلم يشتركُ فيه الإنسانُ وسائرُ الحيوانات، كالشجاعة، والقوةِ، والشفقةِ، وغير ذلك.

ومن هذا قال عليه الصلاة والسلام: **«النّاسُ عالمٌ، ومتعلّمٌ، والباقي همج[1]»**[2]، وقال عليه السلام: **«كن عالماً، أو متعلماً، ولا تكن ثالثاً»**[3].

وقال عليه الصلاة والسلام [س٣/أ]: **«كن عالماً، أو متعلّماً، أو مستمعاً، أو محبّاً للعلماء، ولا تكن [الخامس][4] فتهلك»**[5].

---

(١) قال ابن الأثير في «النهاية»، مادة (همج): في حديث علي رضي الله عنه: «وسَائِر النَّاس هَمَجٌ رَعَاعٌ»: الهَمَجُ: رُذَالَةُ النَّاس، وَالهَمجُ: ذُبَابٌ صغير يسقط على وُجُوه الغَنَم والحَمير، وقيل: هو البَعُوضُ فشَبَّه به رَعَاع النَّاس.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في« العلم» ١/ ٢٧، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ما كان فيه من ذكر الله، أو آوى إلى ذكر الله، والعالم والمتعلم شريكان في الأجر، وسائر الناس هَمَج لا خير فيه».

وأخرجه بهذا اللفظ - عن أبي الدرداء رضي الله عنه من قوله - ابن المبارك في «الزهد» ١/ ١٩١ (٥٣٤)، وأحمد في «الزهد» ١/ ١٣٦، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ٢١٢، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» ص٢٦٩ (٣٨٣).

وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ٨٠، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» ١/ ١٨٢، و«تاريخ بغداد» ٦/ ٣٧٩، وابن عبد البر في «العلم» ٢/ ١١٢، موقوفاً على علي رضي الله عنه، بلفظ: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع.

(٣) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» ٣/ ٢٨، عن الحسن البصري من قوله، ولم أجده مرفوعاً، وتتمته أنه سُئِل عن الثالث، فقال: مماري أو مكابر.

(٤) في (ت): من الخامسة.

(٥) أخرجه البزار في مسنده ٩/ ٩٤ (٣٦٢٦)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١٥/ ٤٠٦ (٦١١٦)، والطبراني في «المعجم الصغير» ٢/ ٦٣ (٧٨٦)، و«الأوسط» ٥/ ٢٣١ (٥١٧١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٧/ ٢٣٧، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٢/ ٢٦٥ (١٧٠٩)، والديلمي في «مسند الفردوس» ١/ ٤٣٠ (١٧٥٣)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يُرْوَى عن رسول الله ﷺ من وجه من الوجوه إلا من هذا =

قيل لابن المبارك[١]: مَنِ النّاس؟ فقال: العلماء، فقيل: من الملوك؟ قال: الزُّهاد[٢].

وبالعلم أظهر الله تعالى فضلَ آدم عليه السلامُ على الملائكة[٣]، وأمرهم بالسّجود[٤].

وأمر الله تعالى النبيَّ عليه الصلاة والسلام بزيادة العلم، ولم يأمر بزيادة [ت٢/ب] غيره، كما قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٥] [طه: ١١٤].

= الوجه، عن أبي بكرة، وعطاء بن مسلم ليس به بأس، ولم يُتَابَع عليه. وقال الطبراني: لم يروه عن خالد إلا عطاء، ولم يروه أيضاً عن مِسْعر إلا عطاء، تفرد به عبيد بن عباد. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ١٢٢: رواه الطبراني في الثلاثة، والبزار، ورجاله موثوقون.

وأخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» ص٢٦٩ (٣٨١)، عن أبي الدرداء من قوله، وقال: رُوِيَ هذا من وجه آخر مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وهو ضعيف، ورُوِيَ من وجه آخر عن عبد الله رضي الله عنه موقوفاً عليه.

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي المروزي أبو عبد الرحمن (١١٨ - ١٨١هـ = ٧٣٦ - ٧٩٧م) الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفاً من غزو الروم، له كتاب في الجهاد، وهو أوّل من صنَّف فيه، والرقائق. انظر «تهذيب الكمال للمزي» ١٦/ ٥ (٣٥٢٠)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ٨/ ٣٧٨ .

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٥/ ٣٥٧ (٦٩٣٤).

(٣) وذلك في قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمآئهم فلما أنبأهم بأسمآئهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ [البقرة: ٣٠- ٣٣].

(٤) وذلك في قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ [البقرة: ٣٤].

(٥) قال الزمخشري في «الكشاف» ٣/ ٩١: متضمن للتواضع لله تعالى والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم، أي: علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم، وأدباً جميلاً ما كان عندي، فزدني علماً إلى علم، فإن لك في كل شيء حكمة وعلماً، وقيل: ما أمر الله رسوله ﷺ بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم.

وقال أبو إسحاق الرازي[(١)] رحمه الله تعالى: إنَّ الله تعالى أنعمَ على نبيّه ﷺ بأشياءَ، فلمْ يَمُنَّ عليه بشيءٍ منها إلا العلم؛ فقال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وقال ابن عبّاس[(٢)] رضي الله عنهما: إنَّ الله تعالى أعطى سليمان وداود عليهما السلام العلمَ والمُلكَ، ومَنَّ عليهما بالعلم لا بالملك [وغيره][(٣)]، حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥].

وهذا دليلٌ على أنَّ أجلَّ الأشياء هو العلم، وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: خُيِّر سليمانُ صلوات الله عليه بين العلم والملك، فاختارَ العلمَ على الملك، فأعطاه الله العلمَ والملكَ معه[(٤)].

[فضل العلماء]

قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**اثنان من درجة النبوّة، أهل العلم والجهاد، أمّا أهل العلم فدلُّوا النّاسَ على ما جاءت به الرُّسلُ، وأمّا أهلُ الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرُّسلُ**»[(٥)].

---

(١) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي أبو إسحاق (... - ٢٥٨هـ = ... - ٨٧٢م) واعظ زاهد، لم يكن له نظير في وقته، من أهل الري، أقام ببلخ، ومات في نيسابور، له كلمات سائرة، منها: كيف يكون زاهداً من لا ورع له، تورَّع عما ليس لك، ثم ازهد فيما لك. انظر «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ١٤/ ٢٠٨ (٧٤٩٧)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ٦/ ١٦٥ (٧٩٤).

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي أبو العباس (٣ق هـ- ٦٨هـ = ٦١٩- ٦٨٧م) حَبْرُ الأمة، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث، وكُفَّ بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفِّي بها. انظر «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر ٣/ ٩٣٣ (١٥٨٨)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني ٤/ ١٤١ (٤٧٨٤).

(٣) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٤) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» ٢/ ١٩٢ (٢٩٥٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٢/ ٢٧٤، بلفظ: «بين المال والملك»، وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ٣/ ٤٢٨ (١٣٠٨): ذكره ابن عبد البر في كتاب العلم هكذا من غير سند، وذكره الديلمي عن ابن عباس مرفوعاً على اصطلاحه في حذف اسمه عليه السلام.
وأخرجه بلفظ المصنِّف ابن عبد البر في «العلم» ١/ ٥٤، عن عبد الله بن المبارك.

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» ٢/ ١٦٥، وعزاه السيوطي في «جامع الأحاديث» =

وقال عليه الصلاة والسلام حين ذُكر عنده رجلان، أحدهما عابد والآخر عالمٌ: «**فضلُ العالم على العابد، كفضلي على أدنى رجلٍ من أصحابي**[١]»[٢]، وفي «إحياء العلوم» قيل: المراد به: العلم المجرَّد عن العمل؛ لأنَّ العابدَ لا تجوز عبادته بدون العلم[٣].

وقال عليه الصلاة [ت٣/ أ] والسلام [س٣/ ب]: «**فضلُ العالم على العابد، كفضلِ القمر ليلةَ البدر على سائر الكواكب**[٤]»[٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**أفضلُ النّاس: المؤمنُ العالمُ الذي إذا احتيج إليه نَفَعَ، فإن استُغني عنه أَغْنى نَفْسَه**»[٦].

= ٢/ ٥٠ (٣٧٩٩)، والملا علي القاري في «شرح مسند أبي حنيفة» ص٣٧٣، للديلمي.
وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» ١/ ٥، والعجلوني في «كشف الخفاء» ٢/ ٨٣ (١٧٤٤): أخرجه أبو نعيم في فضل العالم العفيف، من حديث ابن عباس رضي الله عنه، بإسناد ضعيف.

(١) قال المناوي في «فيض القدير» ٤/ ٤٣٢: أي: نسبة شرف العالم إلى شرف العابد كنسبة شرف الرسول ﷺ إلى أدنى شرف الصحابة، فإن المخاطبين بقوله: «أدناكم» الصحب وقد شُبِّهوا بالنجوم، وهذا التشبيه ينبه على أنه لا بد للعالم من العبادة وللعابد من العلم؛ لأن تشبيههما بالمصطفى وبالعلم يستدعي المشاركة فيما فُضِّلُوا به من العلم والعمل، كيف لا والعلم مقدمةٌ للعمل، وصحة العمل متوقفة على العلم. ذكره الطيبي، وقال الذهبي: إنما كان العالم أفضل؛ لأن العالم إذا لم يكن عابداً فعلمه وَبَالٌ عليه، وأما العابد بغير فقه فمع نقصه هو أفضل بكثير من فقيه بلا تعبُّد كفقيه همته في الشغل بالرئاسة.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٨/ ٢٣٣ (٧٩١١)، وتمام في فوائده ١/ ٢٨ (٤٣)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.
وأخرجه الدارمي في «المقدمة»، باب من قال: العلم الخشية وتقوى الله (٢٨٩)، من حديث مكحول مرسلاً.

(٣) انظر «إحياء علوم الدين» ١/ ٦ .

(٤) قال الملا علي القاري في «مرقاة المفاتيح» ١/ ٤٢٩: شُبِّه العالم بالقمر والعابد بالكواكب؛ لأن كمال العبادة ونورها لا يتعدَّى من العابد، ونور العالم يتعدَّى إلى غيره، فيستضيء بنوره المتلقِّي عن النبي ﷺ، كالقمر يتلقَّى نوره من نور الشمس من خالقها عز وجل.

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٣٦٤١)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٢)، وابن ماجه في «المقدمة»، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٣)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٢/ ٢٦٨ (١٧٢٠) موقوفاً على أبي الدرداء، قال العراقي في =

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لولا العلماءُ ما عُبد الله في الأرض، وما [رُزِقَ العبادُ]**[(١)]**، وما أَخرجتِ الأرضُ نباتَها، ولا الأشجار أثمارها، ولا العيونُ أمواهها، ولا السماء أمطارها**»[(٢)].

وقال الربيع[(٣)]: العلماءُ سراج الأزمنة؛ فكلُّ عالمٍ مصباحُ زمانه يستضيء به أهل زمانه، وقال بعضهم[(٤)]: كلُّ محلّةٍ فيها عالمٌ؛ فهم أحياءٌ، وكلُّ محلّةٍ لا يكون فيها عالمٌ؛ فهم أمْواتٌ.

قال يحيى بن معاذ: العلماءُ أرأف بأمّة محمّدٍ عليه الصلاة والسلام من آبائهم وأمهاتهم؛ لأنّ آباءَهم وأمهاتهم يحفظونهم من نَار الدّنيا وآفاتها، والعلماءُ يحفظونهم من نار الآخرة وأهوالها[(٥)].

[دعاء المخلوقات لطالب العلم]

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ الله تعالى، وملائكته، وأهل السّموات والأرض، حتّى النّملة في جُحرها، ليصلّون على معلّم النّاس الخيرَ**»[(٦)].

= «تخريج أحاديث الإحياء» ١/ ٥: إسناده ضعيف، ولم أرَه مرفوعاً. وقال ابن السبكي في «طبقات الشافعية» ٦/ ٢٨٧: لم أجد له إسناداً.

وفي معناه ما أخرجه الخطيب في تاريخه ١/ ٣١١، عن عبد الله بن عمرو: «أفضل المؤمنين إيماناً الذي إذا سُئِل أعطى، وإذا لم يُعْط استغنى.

(١) في (ت): رزق الله العبادَ.

(٢) لم أجده.

(٣) هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء المصري أبو محمد (١٧٤ - ٢٧٠هـ = ٧٩٠ - ٨٨٤م) الإمام المحدِّث الفقيه الكبير بقية الأعلام، صاحب الإمام الشافعي وراوي كتبه، كان الشافعي يقول: إنه أحفظ أصحابي، وهو أوّل من أملى الحديث بجامع ابن طولون، كان مؤذناً، مولده ووفاته بمصر. انظر «طبقات الفقهاء» للشيرازي ص١٩٠ .

(٤) هو أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني. انظر «الطبقات الكبرى» للشعراني ص١١٧ .

(٥) انظر «تحفة الطالبين» في ترجمة الإمام النووي لابن العطار ص٤ .

(٦) هو جزء من حديث أبي أمامة الباهلي عند الترمذي الذي تقدم تخريجه قبل قليل.

[فضل العالم]

وقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: **«ولفقيهٌ[١] واحدٌ أشدُّ على الشّيطان من ألف عابدٍ جاهل[٢]»**[٣].

[قال الشيخ أبو جعفر: سمعت [ت٣/ب] من الشيخ الإمام قال: كان في أيام السلطان إسماعيل بن سلطان أحمد فقيهٌ يقال له: نصر بن محمد، فاتفق له شغل عند السلطان، فلما دخل عليه قام له وكرّمه، وعرف حرمته، وقضى حاجته، فرجع الفقيه، فقال أخو السلطان: انكسر ناموسك، فإن مَن سمع

(١) قال الغزالي في «الإحياء» ١/ ٣٢: والمراد بالفقه هنا علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس، ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب، لا تفريعات الطلاق واللعان والسَّلَم والإجارة، فإن التجرد له على الدوام يقسّي القلب، وينزع الخشية منه، كما يشاهد من المتجردين فيه.

(٢) قال المناوي في «فيض القدير» ٢/ ٥١١: لأن من فَقُه عن الله أمره ونهيه، وعلم لماذا أمر ونهى، تعاظم لذلك، وكبر في صدره شأنه، وكان أشد تسارعاً لما أُمِر، وأشد هرباً مما نُهِي، فالفقه في الدين جند عظيم يُؤيِّد الله به أهل اليقين الذين عاينوا محاسن الأمور ومشائنها، وأقدار الأشياء، وحسن تدبير الله تعالى في ذلك لهم بنور يقينهم ليعبدوه على بصيرة وطمأنينة، ومن حُرِم ذلك عَبَدَه على مكابدة وكُرْه؛ لأن القلب وإن أطاع وانقاد لأمر الله فالنفس إنما تنقاد إذا رأت نفع شيء أو ضره، والنفس والشيطان جندهما الشهوات، فيحتاج الإنسان إلى أضدادهما من الجنود ليقرهما، وهو الفقه.

وقال أيضاً ٤/ ٤٤٢: لأن الشيطان كلما فتح باباً على الناس من الهوى، وزين الشهوات في قلوبهم بَيَّن الفقيه العارف مكائده ومكامن غوائله، فيسد ذلك الباب، ويرده خائباً خاسراً، والعابد ربما اشتغل بالعبادة وهو في حبائل الشيطان ولا يدري.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨١)، وابن ماجه في «المقدمة»، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وليس فيه لفظ: «جاهل».

قال الترمذي: هذا حديث غريب، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوليد بن مسلم.

وقال المناوي في «فيض القدير» ٤/ ٤٤٢: أورده ابن الجوزي في «العلل»، وقال: لا يصح، والمتهم به روح بن جناح، قال أبو حاتم: يروي عن الثقات ما لم يسمعه منه، شُهِدَ له بالوضع. انتهى، وقال الحافظ العراقي: ضعيف جداً.

يقول: إنّ السلطان إسماعيل قام لرجل من رعيته، فقال السلطان: قد أكرمته لأجل فضله، وعلمه.

ثم رأى السلطان النبيَّ عليه الصلاة والسلام في منامه، فقال: يا إسماعيل إنك قد عرفت حرمة العالم، قد حكم الله أن لا يأخذ من أولادك السلطنة مائة سنة، وأخوك إسحاق عاب عليك، قد حكم الله تعالى أن لا يكون من أولاده صاحب ركاب قط، حتى إن السلطان محمود عبر جَيْحُون، وهزم أهل خاقان، فتمّ له مائة سنة من ذلك الوقت ببركة أنه عرف الحرمة والفضل، كذا في رونق المجالس][1].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«العالم حبيب الله ولو كان فاسقاً، والجاهل عدوُّ الله ولو كان عابداً»**[2].

حكي: أنَّ من النّاس اختلفوا في شرف العالم الفاسِقِ، وشرف الجاهل [ت٤/أ] العابد، فخرج منهم واحدٌ وذهب معهم إلى صومعة العابد [الجاهل][3]، فخاطبه بأن يقول: يا عبدي؛ قبلت دعوتك وغفرت لك ذنوبك، فاتركِ العبادة واسترح، فقال العابد الجاهل: إلهي إني أرجو منك هذا، وإني أحمدك، وأشكرك، وقد عبدتك في زمان [س٤/أ] كذا وكذا، فقال القائل: فقد أخطأت، وكفرتَ لجهلك.

ثمّ ذهب معهم إلى العالم الفاسق، فقال ذلك القائل: يا عبدي [اتَّقِ منِّي][4]، وأنا ربُّك وأستر ذنْبك، وأنت لا تستحي منّي، فإني أريد أن أهلكك، [فقام] العالمُ الفاسقُ، وسلَّ سيفه وخرج من مكانه، فقال: يا ملعون،

---

(١) ما بين معكوفتين من (ت).
(٢) لم أجده.
(٣) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).
(٤) في (ت): اتَّقِنِي.

أنت لا تعلم ربَّك؛ فإنِّي أعلِّمك ربَّك، فذهب ذلك القائل معهم إلى مكانهم، فعلموا شرفَ العلم، وأهلِه. انتهى.

[عماد الدين الفقه]

ولكلِّ شيء عمادٌ؛ وعماد الدّين الفقه، ونفع العالم لنفسه ولغيره، ونفعُ الجاهل إن نفع فقط لنفسه، فكيف ينفع لغيره؟ وليس على الشّيطان شيءٌ أشدَّ من عالم يتكلَّم بالعلم ويسكت به، هذا منقول عن إبراهيم بن أدهم[(١)]، ثم قال: [وقال إبليس - لعنه الله تعالى -: لَسكوتُه أشدُّ من كلامه[(٢)]][(٣)].

[الفرق بين العالم والعابد]

[وقال][(٤)] عليه الصلاة والسلام: «**بين العالم والعابد مئة درجةٍ، بين كل درجة مسيرة سبعين [ت٤/ب] سنة**»[(٥)].

(١) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق (... - ١٦١هـ = ... - ٧٧٨م) زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة، وكان يعيش من العمل بالحصاد، وحفظ البساتين، والحمل، والطحن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، وكان يلبس في الشتاء فرواً لا قميص تحته، ولا يتعمم في الصيف، ولا يحتذي، يصوم في السفر والإقامة، وينطق بالعربية الفصحى لا يَلْحَن، وكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ أوجز سفيان في كلامه مخافة أن يزل، أخباره كثيرة وفيها اضطراب واختلاف في نسبته ومسكنه ومتوفاه. انظر «الثقات» لابن حبان ٦/ ٢٤ (٦٥٦٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر ٦/ ٢٧٧ (٣٦٥).

(٢) انظر حلية الأولياء لأبي نعيم ٨/ ٢٦.

(٣) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٤) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٥) قال الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار» ٣/ ٤٢٦- ٤٢٧ (١٣٠٥): عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَ العَالِمِ والعَابِدِ مائةُ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجتيْنِ حَضر الجَوادِ المُضمَّرِ سَبْعِيْنَ سَنَةً»، قلت: روى أبو يعلى الموصلي في مسنده، من حديث عبد الله بن محرر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد سبعون درجة، ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام حضر الفرس السريع»، ورواه ابن عدي في «الكامل» ٤/ ١٣٤، وأعله بعبد الله بن محرر، ثم أسند عن ابن المبارك: بعرة أحب إليَّ منه، وعن ابن معين قال: ضعيف، =

فاعرفوا [للناس] حقوقهم، أنزلوهم المجالس، والمواقف، وقدموهم على أنفسكم؛ فإنَّهم مقدَّمون عند الله تعالى، إنَّهم ليسوا كمثلكم، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، كيف يستوي؟ فإنَّ من عمل بحسنة وهو غير عالمٍ، فالواحد بعشرةٍ، وإنْ كان عالماً ضوعف بخمسين إلى خمسمئة ألفٍ.

وقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: **«يَبعثُ الله العلماءَ، فيقول [لهم]**[(١)]: **يا معشر العلماء، إنِّي لم أضعْ علمي فيكم إلا لعلمي بكم، ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم، فقد غفرت لكم»**[(٢)]، كذا في «المنتخب من إحياء العلوم» [س٤/ب].

[جزاء محبة العلماء]

قال في «المنهاج»: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله تعالى يحاسب عبداً، فيرجح سيئاته على حسناته، فيأمر به إلى النار؛ فإذا ذهبوا به إلى النار يقول الله تعالى لجبرائيل عليه السلام: أدرك عبدي، واسأله: هل جلس مع العلماء في بيت**

= وعن السدي: هالك، وعن النسائي والفلاس: متروك الحديث، وعن قتادة: منكر الحديث، ووافقهم، وقال: رواياته غير محفوظة. انتهى، ورواه أبو القاسم الأصبهاني في «كتاب الترغيب والترهيب»، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد سبعون درجة، ما بين كل درجتين حضر الجواد سبعين عاماً». انتهى، وفي «كتاب العلم» لابن عبد البر ١/ ٢٧، قال: وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بين العالم والعابد مائة درجة، بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة».

(١) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٢) أخرجه يعقوب بن سفيان في مسنده ٣/ ٣٨٣، والروياني في مسنده ١/ ٣٥٣ (٥٤٢)، والطبراني في «المعجم الصغير» ١/ ٣٥٤ (٥٩١)، وابن عدي في «الكامل» ٤/ ١١١، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» ص٣٤٣ (٥٦٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ١/ ٤٨ .
قال العراقي في تخريج أحاديث «الإحياء» ١/ ٧: رواه الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف. وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٩٢، وقال: قال ابن عدي: هذا الحديث بهذا الإسناد باطل، قال أحمد بن حنبل: لا تحل عندي الرواية عن موسى بن عبيدة، وقال ابن حبان: ولا يحل الاحتجاج بخبر طلحة بن زيد.

واحد في دار الدنيا فأغفر له؟ فيسأله، فيقول: لا، فيقول الله تعالى لجبرائيل عليه السلام: اسأله: هل أحبَّ عالماً في الدنيا؟ فيسأله فيقول: لا، وقال الله تعالى لجبرائيل: اسأله: هل له صديقٌ يحبُّ العلماء؟ فأغفر له، فيسأله، فيقول: بلى، فلانٌ لي صديق وهو يجلس مع العلماءِ ويحبُّهم [ت٥/أ]، فيقول الله تعالى: غفرت لك لذلك»[١].

قيل:

الجاهلون أموات قَبلَ موتهم ... والعالمونَ وإنْ ماتوا فأحياءُ[٢]

وقيل:

وفي الجهل موتٌ قبل موتِ لأهله ... فأجسامهم قبلَ القبور قبورُ[٣]

وإنَّ امرأً لم [يحيَ][٤] بالعلم ميِّتٌ ... فليس له حين النشور نشورُ

وقيل:

فذو العلم عزه متضاعف وذو الـ ... جَهْلِ ميت بعد الموت تحت الترابِ[٥]

فإنْ فاتك الدّنيا وطيبُ نعيمها ... فقد أخذتَ بالعلم خيرَ المذاهبِ

[المفاضلة بين العالم والعابد]

وحكي: أن رسول الله ﷺ، جاء إلى المسجد فرأى الشيطانَ في بابِ المسجدِ، فقالَ له النبيُّ ﷺ: «يا لعين، ماذا تصنع هنا؟»، فقال الشيطانُ: أريد

---

(١) لم أجده.

(٢) البيت من البحر البسيط، وهو لابن أبي النضر المرغيناني في الطبقات السنية في تراجم الحنفية لتقي الدين الغزي ص٢٣٧، وبلا نسبة في نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف للحبيشي ص١٦٢.

(٣) البيتان من البحر الطويل، وهما لسيدنا علي في ديوانه ص٩٢، وبلا نسبة في تفسير الماوردي ٢/ ١٦٣، وتفسير السمعاني ٢/ ١٤١، و«إغاثة اللهفان» لابن قيم الجوزية ص٢٣.

(٤) في (ت): يأتِ.

(٥) البيتان من البحر الطويل، وهما لبرهان الدين المرغيناني في نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف للحبيشي ص١٨٣.

أن أدخُل المسجد وأفسد صلاة هذا المصلي، ولكن كنت أخافُ من هذا الرّجل النّائم، فقال النبيَّ عليه الصلاة والسلام: «**يا لعين، ولِمَ لم تخَفْ من المصلي وهو في العبادات والمناجاة مع ربه، والنّائم في الغفلة؟**»، فقال الشيطان [س٥/أ]: المصلي جاهلٌ، وإفساده سهلٌ، والنائمُ عالمٌ، فلئن أَغويتُ المصلّي، وأَفسدتُ صلاتَه، أخافُ من إيقاظِه، وإصلاحِ صلاتِه، فكنت خجيلاً، فقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**نوم العالم خيرٌ من عبادة الجاهل**»[١]. انتهى.

[تزيين العلم بالحلم]

ولا أفضلَ [ت٥/ب] من علمٍ يزينه حلمٌ؛ أي: من عالمٍ حليم، والحلمُ: ترك الاستعجال في العقوبة.

[رفع مكانة الشخص بالعلم]

قال مصعب بن الزبير[٢] لبنيه: تعلَّموا العلم، فإن كان لكم مالٌ؛ كان العلم لكم جمالاً، وإن لم يكن لكم مالٌ؛ كان العلم لكم مالاً[٣].

---

(١) لم أجده هكذا بطوله، ولكن ذكره السيوطي في «لباب الحديث» ص٩، باللفظ الأخير للنبي ﷺ بدون سند.
قال محمد بن عمر النووي في «تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث» ص٩: أي: نوم العالم الذي يراعي آداب العلم، أفضل من عبادة الجاهل الذي لا يسلم آداب العبادة، وفي رواية لأبي نعيم، عن سلمان بإسناد ضعيف: «نوم على علم خير من صلاة على جهل»، أي: لأنه قد يظن المبطل مصححاً والممنوع جائزاً.

(٢) هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي أبو عبد الله (٢٦ - ٧١هـ = ٦٤٧ - ٦٩٠م) أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام، نشأ بين يدي أخيه عبد الله بن الزبير، فكان عضده الأقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق، وولاه عبد الله البصرة فقصدها، وضبط أمورها، وقتل المختار الثقفي، وبمقتله نُقِلَت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام. انظر «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ١٣/ ١٠٥ (٧٠٩٣)، والمنتظم لابن الجوزي ٦/ ١١٤ (٤٤٩).

(٣) انظر «أدب الدين والدنيا» للماوردي ص٢٦، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر ١١/ ١٢٩.

قال هشام بن عروة[١] : تعلَّموا العلم؛ فإن تكونوا صغار قومكم، تصيروا كبارهم، ولا [تحسب مع][٢] نَفْسك غنىً من علمٍ بحالٍ.

ومما حكي: أنَّه قيل لعبد الله بن المبارك: لو أنَّ الله تعالى أوحى إليك: أنَّك تموتُ العشية فماذا تصنع اليوم؟ قال: أقوم وأطلب العلمَ؛ لأنَّ الله تعالى أعطى لنبيِّنا عليه الصلاة والسلام كلَّ شيءٍ، ولم يأمره بطلب الزِّيادة، وأعطاه العلمَ وأمره بطلب الزيادة، لما مرَّ[٣].

[فضل العلم على المال]

وعن السُّدِّي[٤] أنَّه قالَ: العلمُ أفضل من كنوز الدُّنيا، فإنَّها تنقضي مع الإنفاق، والعلم يزداد بالإنفاق، وإنَّ العلم يحفظ أهله من كلِّ آفةٍ، والمال يوقعها في الآفات، وإنَّما مثل العلم كمثل السِّراج على الطَّريق؛ يقتبس ويستفيد من ضوئه الذَّاهبُ والجائي، ولا ينقُصُ أصْلاً.

واعلم: أنَّ النَّاس اختلفوا في العلم والمال، قال بعضهم: العلم أفضل من المال، وقال الآخر: المال أفضل من العلم، فتنازعوا فيه، حتَّى بعثوا إلى عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما [س٥/ ب] رسولاً ليسأله [س٦/ أ] عن ذلك، فذهب إليه وسأله، فقال: اعلمْ أنَّ للعلم شرفاً على المال، من سبعة أوجه:

---

(١) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو المنذر (٦١ - ١٤٦هـ = ٦٨٠ - ٧٦٣م) تابعي من أئمة الحديث، من علماء المدينة، ولد وعاش فيها، وزار الكوفة فسمع منه أهلها، ودخل بغداد وافداً على المنصور العباسي، فكان من خاصته، وتوفي بها. انظر «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ١٤/ ٣٧ (٧٣٨٣)، و«المنتظم» لابن الجوزي ٨/ ١٠٠ (٧٨٠).

(٢) في (ت): تحسبن.

(٣) أراد بذلك قوله تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [طه: ١١٤].

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي (... - ١٢٨هـ = ... - ٧٤٥م) تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة، قال فيه ابن تغري بردي: صاحب «التفسير والمغازي والسير»، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس.
انظر «الثقات» لابن حبان ٤/ ٢٠ (١٦٥٩)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي ١/ ٣٠٨ .

إحداها: أنَّ العلم ميراث الأنبياء[١]، والمال ميراث الفراعنة والأشقياء.

والثاني: العلمُ يحرسُ صاحبه، وصاحب المال يحرس ماله[٢].

والثالث: أنَّ المال يعطيه الله تعالى لمن يحبُّه ولمن لا يحبُّه[٣]، ولا يعطي العلم إلاَّ لمن يحبُّه.

والرابع: لا ينقص العلمُ بالبذل والإنفاق، بل يزيد بهما، والمال ينقص بهما[٤].

والخامس: أنَّ صاحب العلم لا يموت، ولا ينقطع عمله إلى يوم القيامة ومعه عمله أبداً[٥]، وصاحب المال يموتُ، وينقطع عمله، ويبقى ماله لغيره.

والسادس: أنَّ صاحب العلم لا يعذَّب في القبر ولا يَبْلى[٦]، [وأنَّ صاحبَ المال يعذَّب في القبر ويبلى][٧].

والسابع: أنَّ صاحب المال يُسأل يوم القيامة عن كل درهم من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، ويحاسب عليه[٨]، وأنَّ صاحب العلم له بكلِّ مسألة درجةٌ، [وكلِّ

---

(١) يشهد لذلك قوله ﷺ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلا دِرْهَماً، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ». أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٢)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) قال علي رضي الله عنه: العلم خير من المال؛ لأن المال تحرسه والعلم يحرسك. انظر «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر ١/ ٥٧.

(٣) يشهد لذلك قوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُعْطِي الْمَالَ من يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الإِيمَانَ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ». أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٨٨ (٩٥)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) قال علي رضي الله عنه: المال تفنيه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق. انظر «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر ١/ ٥٧.

(٥) يشهد لذلك قوله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ: . . . أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ». أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١٦٣١).

(٦) قال علي رضي الله عنه: العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة. انظر «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر ١/ ٥٧.

(٧) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٨) يشهد لذلك قوله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ. . . وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ =

حرفٍ][1] حسنةٌ، ولكلِّ حرفٍ من حروف القرآن عشر حسناتٍ إنْ قرأ على غير طهرٍ، وإن قرأ على طهرٍ:

- إن كان في غير الصلاة؛ فلكلِّ حرفٍ مئة حسنةٍ.
- وإن قرأ في الصلاة، فلكلِّ حرف ألفُ حسنةٍ، كذا في منهاج المذكورين.

[سعادة أهل العلم في الدارين]

ونعم القول ما قيل:

أهل العلم في الدّارين مسعودُ ... والخلد [ت٦/ب] في الجنّة الفردوس موعود[2]

والعلم عزٌّ، وأهل العلم محترم ... والجهلُ ذُلٌّ، وأهل الجهل مطرودُ

وقيل:

حياة القلبِ علمٌ فاغتنمه ... وموت القلب جهلٌ فاجْتنبْهُ[3]

وخيرُ الزّاد التّقوى فزدهُ ... كفاك [س٦/أ] هذا الوعظ فاتّعظه

وقيل: [لا][4] تحسبن الجهّال أحياء، بل هم أمواتٌ، وثوبهم كفنهم[5]، وقال رسول الله ﷺ: **«ينبغي على العالم أن يصومَ إذا الناس مفطرون، ويحزنَ إذا الناس يفرحون، ويبكيَ إذا الناس ضاحكون، ويصمتَ إذا الناس يتكلمون، ويتوحّد إذا الناس يخلطون»**[6]، فلم يرضَ عليه الصلاة والسلام أن يكون مَن عَلِمَ وفهم كمن لا يعلم ولا يفهم.

= أَنْفَقَهُ». أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص (٢٤١٧).

(١) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٢) البيتان من البحر البسيط، ولم أعثر عليهما.

(٣) البيتان من البحر الوافر، ولم أعثر عليهما.

(٤) في (ت): ولا.

(٥) قال سابق البربري:

مَـوْتُ الـتَّـقِـيِّ حَـيَـاةٌ لا فَـنَـاءَ لَـهَـا ... قَـدْ مَـاتَ قَـوْمٌ وَهُـمْ فِـي الـنَّـاسِ أَحْـيَـاءُ

(٦) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن روى ابن أبي شيبة في مصنّفه ٧/ ٢٣١ (٣٥٥٨٤)، وأبو داود في الزهد ١/ ١٨٥، وأحمد في الزهد ص١٦٢، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٢/ ٢٩٠ (١٨٠٧)، عن ابن =

قال رسول الله ﷺ: «**من ازدادَ علماً ولم يزدَدْ زهداً، لم يزددْ من الله إلاّ بعداً**[١]»[٢].

[أنواع العلم]

واعلم: أنَّ تحصيل العلم على نوعين: كسبيٌّ وسماعيٌّ.

والكسبي: هو العلم الحاصل بمداومة الدَّرس والقراءة عند الأستاذ.

والسماعيُّ: هو التعلُّم عند العلماء بالسّماع في أمورِ دينهم ودنياهم، وهذا لا يحصل إلاّ بمحبة العلماءِ، والاختلاط معهم، والمجالسة لهم، والاستفسار منهم.

= مسعود رضي الله عنه أنه قال: ينبغي لحامل القرآن أن يُعْرَف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حليماً حكيماً سِكّيتاً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً، ولا غافلاً، ولا صخَّاباً، ولا صيَّاحاً، ولا حديداً.

(١) قال المناوي في «فيض القدير» ٦/ ٥٢: ومن ثم قال الحكماء: العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب. وقال الماوردي: قال الحكماء: أصل العلم الرغبة، وثمرته السعادة، وأصل الزهد الرهبة، وثمرته العبادة، فإذا اقترن العلم والزهد فقد تمت السعادة، وعمت الفضيلة، وإن افترقا فيا ويح مُفْتَرِقَيْنِ ما أضر افتراقهما، وأقبح انفرادهما. وقال مالك بن دينار: من لم يُؤْتَ من العلم ما يقمعه فما أوتي من العلم لا ينفعه. وقال حجة الإسلام الغزالي: الناس في طلب العلم ثلاثة: رجل طلبه ليتخذه زاداً إلى المعاد، لم يقصد إلا وجه الله، فهذا من الفائزين، ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة، وينال به الجاه والمال، ومع ذلك يعتقد خِسَّة مقصده، وسوء فعله، فهذا من المخاطرين، فإن عاجله أجله قبل التوبة خِيْف عليه سوء الخاتمة، وإن وُفّق لها فهو من الفائزين، ورجل استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال، والتفاخر بالجاه، والتعزز بكثرة الأتباع، وهو مع ذلك يُضْمِر أنه عند الله بمكان لاتّسامه بِسِمَة العلماء، فهذا من الهالكين المغرورين؛ إذ الرجاء منقطع عن توبته، لظنه أنه من المحسنين.

(٢) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» ٣/ ٦٠٢ (٥٨٨٧)، وقال المناوي في «فيض القدير» ٦/ ٥٢: قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف، أي: وذلك لأن فيه موسى بن إبراهيم، قال الذهبي: قال الدارقطني: متروك، ورواه ابن حبان في «روضة العقلاء»، مرفوعاً عن الحسن بن علي، وروى الأزدي في «الضعفاء» من حديث علي: «من ازداد بالله علماً ثم ازداد للدنيا حباً، ازداد من الله عليه غضباً».

كما قيل: كن عالماً، أو متعلِّماً، أو محبّاً لهم، [ت٧/ أ] فإنَّ الجهل لا يكون صاحبه معذوراً في الدُّنيا والآخرة، والمتَّصف به مغبون[١] فيهما؛ لأنَّ شرفهما مع العلم، كما قيل: مَنْ أراد الدُّنيا فليتّجر، ومَنْ أراد الآخرة فليتزهَّد، ومن أراد كليهما فليتعلم، فإنَّ من انتقل من الدُّنيا بقي ما جمعه فيها سوى العلم، فإنَّ العلم رفيقه في القبر وأنيسه، وفراشه وتحته وجنبه، وزاده.

[خير الزاد العلم]

وقال عليه الصلاة والسلام: «**منْ أراد منكم سفراً من أسفار الدُّنيا لا يمشي بلا زاد**»[٢].

وكيف يريدون السّفر إلى الآخرة بلا زادٍ؟، ونعم الزَّاد العلمُ، ولا سيّما شفيعه، وبراقه، وظلُّه في يوم القيامة، وإنّ العلم كان شفيعاً لملك الموتِ [س٦/ ب]، وجواباً لمنكر ونكير، ومؤنساً في القبر، وثقلاً في الميزان، وقائداً على الصّراط، ومفتاحاً للجنَّة.

وقال معاذُ بن جبل[٣] رضي الله عنه: [إنَّ][٤] العلم أنيس في الوحدة، وصاحب في الخلوة، ودليل عند الحيرة، والوزير عند الأخلاء، التَّفكُّر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته يعدل بالقيام، وبه يُعبد الرَّبُّ، وبه يُوَحَّد الربّ، وبه

---

(١) الغَبْنُ بالتسكين في البيع، والغَبَنُ بالتحريك في الرأي. انظر «لسان العرب» لابن منظور، مادة (غبن).

(٢) لم أجده.

(٣) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن (٢٠ق هـ - ١٨هـ = ٦٠٣ - ٦٣٩م) كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ، أسلم وهو فتى، وآخى النبي ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبعثه رسول الله ﷺ قاضياً ومرشداً لأهل اليمن، وبعد وفاة النبي ﷺ عاد إلى المدينة، توفي عقيماً بناحية الأردن. انظر «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٣/ ٥٣٨، و«الاستيعاب» لابن عبد البر ٣/ ١٤٠٢ (٢٤١٦).

(٤) ما بين معكوفتين من (ت).

يُطاع الربّ [ت٧/ ب]، وهو إمامُ العمل، والعمل تابعٌ له، ففيه عزُّ الدُّنيا، وسعادة الآخرة.

وقال الزُّهريُّ[١] رضي الله عنه: تتشعب في العلم عشرة: الشرفُ إن كان دنيّاً، والغنى إن كان فقيراً، والعزَّةُ إن كان مهيناً، والقوَّةُ إنْ كان ضعيفاً، والجود إن كان بخيلاً، والقرْبُ إنْ كان قصيّاً، والكبير إن كان صغيراً[٢].

[التحذير من معاداة العلماء]

وإنَّ العلمَ للعلماء ميراث الأنبياء، كما قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: **«العلماء ورثة الأنبياء»**[٣]، فالعاقل من يغتنم بغنائم العلم وعظَمِه وعظمِ أهله، ولا ينظر لهم بنظر الإهانة، فإنَّ العلم عزيزٌ لا يقوم إلاَّ بشخصٍ عزيزٍ، قال النبيُّ ﷺ: **«من أهان عالماً [أهانه]**[٤] **الله تعالى يوم القيامة»**[٥].

وقال النبي ﷺ: **«من أذلَّ عالماً أذله الله يوم القيامة بين الخلائق»**[٦].

وقال النبي ﷺ: **«من احتقَر صاحب العلم فقد احتقرني، ومن احتقرني فقد احتقر الله تعالى، ومن احتقر الله تعالى فله النار»**[٧].

---

(١) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري أبو بكر (٥٨ - ١٢٤هـ = ٦٧٨ - ٧٤٢م) أوَّل من دون الحديث، وأحد أكابر الحُفَّاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة، نزل الشام واستقر بها، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه. انظر «تهذيب الكمال» للمزي ٢٦/ ٤١٩ (٥٦٠٦).

(٢) هذا القول منقول عن وهب بن منبه في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٢/ ٢٩٠، و«تهذيب الكمال» للمزي ٣١/ ١٥٧، ولم أره من قول الزهري.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٣٦٤١)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٢)، وابن ماجه في «المقدمة»، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٣)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) في (ت): فقد أهان.

(٥) لم أجده.

(٦) ذكره الكناني في تنزيه الشريعة ١/ ٢٧٨ (٩٣)، والملا علي القاري في «المصنوع» ص١٧٦ (٣١٧)، والعجلوني في «كشف الخفاء» ٢/ ٢٨٧ (٢٣٧٤)، بلفظ: «من أذلَّ عالماً بغير حق أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق»، وقالوا: قال في الذيل: كذا في نسخة سمعان بن المهدي المكذوبة.

(٧) لم أجده.

وقال ﷺ: «من آذى عالماً فقد آذاني، ومنْ آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله تعالى فله النّار»(١).

وفي الخبر: قال الله تعالى «لا تحقّروا [ت٨/ أ] عبداً لي آتيته عِلْماً؛ فإنّي لم أُحقِّره حين علَّمته»(٢)، و«إنَّ الملائكة لتضع أجنحتها [س٧/ أ] حتَّى تمر عليها حملةُ العلمِ وطلابُها تواضعاً وإكراماً لهم»(٣).

[قبض العلم بقبض العلماء]

وقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «من لم يحزنْ لموت العالم فهو منافق، فإنه لا مصيبة أعظم من موت العالم، وما من مؤمن يحزن لموت العالم إلاّ كتب الله تعالى له ثواب ألف عالمٍ وألف شهيد»(٤).

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن روى أحمد في مسنده (١٥٥٣٠)، وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٣٦٥ (٦٩٢٣)، من حديث عمرو بن شأس: «مَنْ آذَى عَلِيّاً فَقَدْ آذَانِي». وروى الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه (٣٧٥٨)، من حديث عبد المطلب بن ربيعة: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي». وروى البيهقي في «الشعب» ٣/ ١٠١ (٣٠٠١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ». وروى الطبراني في «المعجم الصغير» ١/ ٢٨٤ (٤٦٨)، و«الأوسط» ٤/ ٦٠ (٣٦٠٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «مَنْ آذَى مُسْلِماً فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ».

(٢) أخرجه يعقوب بن سفيان في مسنده ٣/ ٣٨٣، والروياني في مسنده ١/ ٣٥٣ (٥٤٢)، والطبراني في «المعجم الصغير» ١/ ٣٥٤ (٥٩١)، وابن عدي في «الكامل» ٤/ ١١١، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» ص٣٤٣ (٥٦٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ١/ ٤٨ .
قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» ١/ ٧: رواه الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف. وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٩٢، وقال: قال ابن عدي: هذا الحديث بهذا الإسناد باطل، قال أحمد بن حنبل: لا تحل عندي الرواية عن موسى بن عبيدة، وقال ابن حبان: ولا يحل الاحتجاج بخبر طلحة بن زيد.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٣٦٤١)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٢)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٣)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، بلفظ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضاً لِطَالِبِ الْعِلْمِ».

(٤) لم أجده.

وقال النبيُّ ﷺ: «**لَموتُ قبيلةٍ أيسرُ من موت العالم**»[١].

وقال عمر[٢] رضي الله عنه: لَموتُ ألف عابدٍ قائم بالليل، صائم بالنّهار، أهونُ من موت عالمٍ واحدٍ، يعْلمُ ما أحلَّه الله مما حرَّمه، وإنْ لم يزد على الفرائض[٣].

[مثل العامة مع العلماء]

قيل: مثل العامّة مع العلماء كمثل القصّار[٤] مع الشمس، إذا غضب القصّار على الشَّمس، كانت المضرَّة على القصّار لا الشمس، فكذلك إذا غضب العامَّة على العالم تكون المضرَّةُ للعامَّة لا [للعلماء][٥]، فإنَّ لحوم العلماء مسمومة من شمَّها مرض، ومن ذاقها مات.

[ثواب العلم وفضله في الدنيا والآخرة]

وقال النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات إنسانٌ انقطع [عنه]**[٦] **عملُهُ إلاّ من ثلاثة: مِنْ صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»[٧].

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٢/ ٢٦٣ (١٦٩٩)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ١/ ٣٧، والديلمي في «مسند الفردوس» ٤/ ١٤٨ (٦٤٥٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٨/ ٣١٨، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو حفص (٤٠ق هـ - ٢٣هـ = ٥٨٤ - ٦٤٤م) ثاني الخلفاء الراشدين، وأوَّل من لقب بأمير المؤمنين، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يُضْرَب بعدله المثل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله السفارة فيهم، وهو أحد العُمَرَيْن اللذين كان النبي ﷺ يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع، بويع بالخلافة سنة (١٣هـ)، وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة، كان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظاً يا عمر، قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غلام المغيرة بن شعبة غيلةً بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح، وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال. انظر «الاستيعاب» لابن عبد البر ٣/ ١١٤٤ (١٨٧٨)، و«الإصابة» لابن حجر ٤/ ٥٨٨ (٥٧٤٠).

(٣) أخرجه الحارث في مسنده ٢/ ٨١٣ (٨٤٢).

(٤) أي: الذي يغسل الثياب وينشرها تحت الشمس.

(٥) في (ت): للعالم.

(٦) ما بين معكوفتين من (ت).

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١٦٣١)، والترمذي، =

وقال عليه [ت٨/ ب] الصلاة والسلام: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهَّل الله له طريقاً إلى الجنَّة**»[١].

وقال ﷺ: «**إنَّ الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتَّى إذا لم يُبْقِ عالماً، اتَّخذ النَّاس رؤساء جُهَّالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا**»[٢].

وعن أبي الدرداء، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنَّة، وإنَّ العالم يستغفر له من في السموات والأرض، والحيتانُ في جوف الماء، وإنَّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً [س٧/ ب]، إنَّما ورَّثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظٍّ وافر**»[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ خرجَ في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجعَ**[٤]»[٥]، رواه أنس بن مالك.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ طلب العلم كان كفارةً لما مضى**»[٦].

= كتاب الأحكام، باب في الوقف (١٣٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٣٦٤١)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٢)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٣)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يُقْبَض العلم (١٠٠)، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه... (٢٦٧٣)، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه مراراً.

(٤) قال المناوي في «فيض القدير» ٦/ ١٧٦: قال الغزالي: هذا إذا خرج في طلب العلم النافع في الدِّين، دون الفضول الذي أكبَّ الناس عليه وسموه علماً، والعلم النافع ما يزيد في الخوف من الله.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب فضل طلب العلم (٢٦٤٧)، والبزار في مسنده ١٣/ ١٣٠ (٦٥٢٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حَسَن غريب.

(٦) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب فضل طلب العلم (٢٦٤٨)، والدارمي في المقدمة، باب البلاغ عن رسول الله ﷺ (٥٦١)، من حديث عبد الله بن سَخْبَرَةَ عن سَخْبَرَةَ، قال الترمذي: هذا حديث ضعيف الإسناد، أبو داود - أحد رواته - يُضَعَّف في الحديث، ولا نعرف لعبد الله بن سَخْبَرَةَ كبير شيء، ولا لأبيه، واسم أبي داود نفيع الأعمى، تكلم فيه قتادة وغير واحد من أهل العلم.

[قال عليه الصلاة والسلام: **«الأدب أرض، والعلم نبات، فإن لم يكن الأرض فكيف يكون نبات؟ والأدب شجرة والعلم [ت٩/أ] ثمر، لو لم يكن شجر فكيف يكون ثمر؟»**(١)](٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: **«من مات في طلب العلم، فقد مات شهيداً»**(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«من مات في طلب العلم قبل حصول المقصود، خلق الله تعالى ملكاً عالماً يعلمه إلى يوم القيامة»**(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«من أراد أن ينظر إلى عتقاء الله من النَّار، فلينظر إلى المتعلِّمين»**(٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«متعلِّم كسلان أفضل عند الله تعالى من ألف عابد»**(٦).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«قوام العَالَم بالعالِم»**(٧).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«منْ خَدَمَ عالماً سبْعة أيّام، فقد خدم الله تعالى سبعة آلاف سنةٍ، وأعطاه الله تعالى بكلِّ يوم ثواب ألف شهيد»**(٨).

قال أبو بكرٍ الصِّدِّيق(٩) رضي الله عنه: إنَّ إبليس قائمٌ أمامك، والنفس عن

---

(١) لم أجده.

(٢) ما بين معكوفتين من (ت).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وروى ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ١/ ٢٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا جَاءَ المَوْتُ طَالِبَ العِلْمِ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ مَاتَ شَهِيْداً».

(٤) لم أجده.

(٥) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» ٢/ ٢٩٠ (٢٣٥٥)، وقال: موضوع.

(٦) لم أجده.

(٧) لم أجده.

(٨) لم أجده.

(٩) هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي أبو بكر (٥١ق هـ - ١٣هـ = ٥٧٣ - ٦٣٤م) أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وأحد أعاظم العرب، ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، وحرَّم على نفسه الخمر في الجاهلية، ثم =

يمينك، والهوى عن يسارك، والدُّنيا خلفك، والأعضاء عن حواليك، والجبَّار فوقك، فإبليس يدعوك إلى المعصية، والهوى يدعوك إلى الشهوات، والدُّنيا تدعوك إلى اختيارها على الآخرة، والأعضاء تدعوك إلى المعصية، والجبار يدعوك إلى الجنَّة والمغفرة، ولا يعلم مكر هؤلاء، ولا يؤمن من شرِّها، [ت٩/ب] ولا يتوصل إلى المغفرة والجنَّة إلاَّ بالعلم.

اللهمَّ ارزقنا العلم المنجي من وسوسة هؤلاء، والوصول إلى الجنَّة والمغفرة، إنَّك أنت الجواد الكريم.

وعن يحيى بن معاذ رضي الله عنه: العلمُ دليل العمل، والفهم وعاءُ العلم، والعقل قائد الخير [س٨/أ]، والهوى مركب الذنوب، والمال رداء المتكبرين، والدنيا سوق الآخرة.

قال الحسن البصري[(١)] رحمه الله تعالى: لولا الأبدال لخسفت الأرضُ ومَنْ فيها، ولولا الصَّالحون لهلك الطَّالحون، ولولا العلماء لصارَ النّاس كلُّهم كالبهائم[(٢)].

قال عمر رضي الله عنه: لا يصلح العقلُ بغير ورَع، ولا الفضل بغير علم.

قال عليه الصلاة والسلام: **«العافيةُ في الدُّنيا والآخرة بالعلمُ، والعبادة، والرِّزق من الحلال، والصَّبر على الشِّدَّة، والشُّكر على النِّعمة»**[(٣)].

= كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال، وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام، وقسم كبير من العراق، وكان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة، خطيباً لَسِناً، وشجاعاً بطلاً، توفي في المدينة. انظر «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٢/ ١٦٩، و«الاستيعاب» لابن عبد البر ٢/ ٩٦٣ (١٦٣٣).

(١) هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد (٢١ - ١١٠هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨م) تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحَبْر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النُّسَّاك، ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، كان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة، كان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه. انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٤/ ٥٦٣ .

(٢) انظر تفسير السمرقندي ١/ ١٩١ .

(٣) لم أجده.

قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام لإبليس عليه ما يستحقه: «**مَن أعداؤك؟**»، قال عليه اللَّعنة: أنت يا محمَّد، والعالم العاملُ [بالعلم][١]، وحامل القرآن إن عمل بما فيه[٢].

قيل: العلمُ ينفع ولو مع الكلب العقور[٣]، [وللخاصَّة][٤] المشابهة بالعلم روعي الكلب المعلَّم للصيد.

وقال أبو بكر الرازي[٥]: نكتة في شرف العلم [ت١٠/أ] وأهله وهي: أنَّه ليس في الدُّنيا والآخرة أشرف من المؤمن، وليس من المخلوقات شيءٌ أخسّ من الكلب بعد الخنزير، ثمَّ إنَّ الله تعالى أباح صيد الكلب؛ الذي هو أخسُّ المخلوقات لهذا المؤمن؛ الذي هو أشرف المخلوقات، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤] الآية.

فلما كان من فضل العلم في الكلب ما يرفع من قَدْره، حيث يباح صيدُه للمؤمن الشَّريف، فكيف إذا وُجد شرفُ العلم من هذا المؤمن؟! فلا يعرف أحد قدره إلاَّ الله سبحانه وتعالى.

قال ابن عمر رضي[٦] الله عنهما: النَّاس كلُّهم مرضى إلاَّ العلماءُ فهم

---

(١) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٢) لم أجده.

(٣) الكلبُ العَقُور: هو كل سبع يَعْقِر، أي: يجرح ويقتل ويفترس، كالأَسد والنمر والذئب والفَهْد، وما أَشبهها، سماها كلباً لاشتراكها في السَّبُعِيَّة. انظر «لسان العرب» لابن منظور، مادة (عقر).

(٤) في (ت): وللخلاصة.

(٥) هو أحمد بن علي الرازي أبو بكر الجصاص (٣٠٥ - ٣٧٠هـ = ٩١٧ - ٩٨٠م) فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية، وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع، وألف كتاب «أحكام القرآن»، وكتاباً في «أصول الفقه». انظر «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» ١/ ٨٤ (١٥٦).

(٦) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن (١٠ق هـ - ٧٣هـ = ٦١٣ - ٦٩٢م) صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئاً جهيراً، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى =

أطبَّاء، ومن أراد الصِّحة فليقرب منهم، فإنَّ النَّظر إليهم عبادةٌ، والمشي معهم عِزٌّ، والأكل معهم شفاءٌ، فإنَّهم قومٌ لا يشقى جليسُهم أبداً، فمن حفظهم حُفظ، ومن ضيعهم قُصم.

قيل: مثل العالم كمثل العطار إذا أُعطيْت بالطِّيب [س٨/ ب] فبها، وإلاّ يصل إليك رائحةٌ طيِّبةٌ، [وكذلك][1] العالم، إن أفادَ النَّاس من علمه فبها، وإلاّ تصل إليهم [ت١٠/ ب] بركتُه.

وقيل: مثل العالم كشجرة مثمرةٍ؛ كلّما حرَّكتها انتفعت بثمارها، وإن لم تحرِّكها لم يسقط عليك منْها شيءٌ.

وقيل: مثل العالم كالنَّحلة؛ يخرج من بطنها شفاءٌ للنَّاس، وهو العسل، فكذلك [العالم][2]؛ يخرجُ من أفواه العلماء شفاءٌ للعصاة.

[لزوم العمل بالعلم]

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: العالم طبيب الدِّين، والدِّرهم داؤه، فإذا كان العالم الطبيب يجرُّ الدَّاء إلى نفسه فكيف يداوي غيره؟[3].

قيل فيه:

وغير تقيٍّ يأمُرُ النَّاس بالتُّقى ... طبيبٌ يداوي النَّاس وهو مريضٌ[4]!

= المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها، أفتى الناس في الإسلام ستين سنة، ولما قُتِل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى، وهو آخر من توفِّي بمكة من الصحابة. انظر «الاستيعاب» لابن عبد البر ٣/ ٩٥٠ (١٦١٢).

(١) في (ت): فكذلك.

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٣) هذا القول منقول عن سفيان الثوري في «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر ٢/ ١١، ولم أجده من قول ابن عمر.

(٤) البيت من البحر الطويل، وهو بلا نسبة في «خاص الخاص» للثعالبي ص٣٥، و«محاضرات الأدباء» للأصفهاني ١/ ١٦٩ .

قالت رابعة العدوية[1] للحسن البصريِّ رحمه الله، هذا البيت، فأجاب الحسنُ البصريُّ رحمه الله تعالى لرابعة:

خذي بعلمي ولا تنظري إلى عملي ينفعك علْمي ولا يضرُرْك تقصيري[2]

وهذا القدر كافٍ في فضيلة العلم والعلماء في مثل هذا المختصر، والله أعلم بالصَّواب، وإليه المرجع والمآب.

---

(١) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية أم الخير، مولاة آل عتيك البصرية (... - ١٣٥هـ = ... - ٧٥٢م) صالحة مشهورة من أهل البصرة، ومولدها بها، لها أخبار في العبادة والنُّسُك، ولها شِعْر، من كلامها: اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم، توفيت بالقدس، قال ابن خلكان: وقبرها يُزار، وهو بظاهر القدس من شرقيه، على رأس جبل يسمَّى: الطور. انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٨/ ٢٤١، و«البداية والنهاية» لابن كثير ١٠/ ١٨٦ .

(٢) البيت من البحر البسيط، وهو للفراهيدي في «لباب الآداب» للثعالبي ص١٦١، وبلا نسبة في «العقد الفريد»٣ لابن عبد ربه ٢/ ١٠٨ .

الباب الثاني في المعلم[1]

[صفات المعلم]

[المهارة والأمانة]

يجب أن يكون المعلِّم ماهراً في فنِّ يعلِّمه، وأنْ يكون طاهرَ القلبِ واللسان، وأنْ يكون نظيفاً [س٩/أ] عن الغيبة، وعدْلاً في الدِّين، وناصحاً [ت١١/أ] في جميع الأمور، وملائماً في العيش، وشريفاً في النَّسب، وكبيراً في السِّن، وألاَّ يكون غضوباً، وألاَّ يخالط السُّلطان، ولا يلابس الدُّنيا [بشغله عن [أمر][2] دينه.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: إذا كان العالم راغباً في الدُّنيا كانت مجالستُه زيادةً للجاهل جهلاً وللفاجر فجوراً.

---

(١) قال الغزالي في «الإحياء» ١/ ٥٥، وما بعدها: بيان وظائف المرشد المعلم: ليعلم المشتغل بالتعليم أنه تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً، فليحفظ آدابه ووظائفه:

الوظيفة الأولى: الشفقة على المتعلمين، وأن يجريهم مجرى بنيه.

الوظيفة الثانية: أن يقتدي بصاحب الشرع ﷺ، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً، بل يُعَلِّم لوجه الله تعالى، وطلباً للتقرُّب إليه.

الوظيفة الثالثة: أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً.

الوظيفة الرابعة: أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ.

الوظيفة الخامسة: أن المتكفِّل ببعض العلوم ينبغي أن لا يُقَبِّح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه، كمعلم اللغة؛ إذ عادته تقبيح علم الفقه.

الوظيفة السادسة: أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يُلْقِي إليه ما لا يبلغه عقله، فينفره، أو يخبط عليه عقله.

الوظيفة السابعة: أن المتعلم القاصر ينبغي أن يُلْقَى إليه الجلي اللائق به، ولا يذكر له وراء هذا تدقيقاً.

الوظيفة الثامنة: أن يكون المعلِّم عاملاً بعلمه، فلا يُكَذِّب قوله فعله. اهـ بتصرف واختصار.

(٢) في (ت): أمور.

وقال أنس بن مالكٍ[(١)] رضي الله عنه: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: **«العلماءُ أمناء الرُّسل، ما لم يُخالطوا السُّلطان ولم يدْخلوا في الدُّنيا، [فإذا خالطوا السُّلطان، ودخلوا في الدُّنيا][(٢)] فقد خانوا الرسل، فاعتزلوهم واحترزوهم»**[(٣)].

حُكيَ عن أبي جعفرَ الهنداونيّ[(٤)]: يُحكى عن معروف الكرْخي[(٥)] قال:

---

(١) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري أبو ثمامة (١٠ق هـ - ٩٣هـ = ٦١٢ - ٧١٢م) صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، مولده بالمدينة، وأسلم صغيراً وخدم النبي ﷺ إلى أن قُبضَ ﷺ، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. انظر «الاستيعاب» لابن عبد البر ١/ ١٠٩.

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٣) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» ٣/ ٧٥ (٤٢١٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٩٢، قال الزبيدي في «الإتحاف» ١/ ٣٨٨: قال العراقي في «التخريج الكبير»: رواه الديلمي في «مسند الفردوس»، ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات»، من رواية إبراهيم بن رستم، عن عمر بن حفص العبدي، عن إسماعيل بن سميع، قال: تابعه بمحمد بن معاوية النيسابوري، عن محمد بن يزيد عن إسماعيل، ثم قال: وأما عمر العبدي قال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» ص٨١ (٤٦١): متروك، وأما إبراهيم بن رستم فقال ابن عدي في «الكامل» ١/ ٢٧١: ليس بمعروف، ومحمد بن معاوية قال فيه أحمد: كذاب. إلى هنا كلام ابن الجوزي، قال العراقي: أما إبراهيم بن رستم فقال فيه عثمان بن سعيد الدارمي، عن يحيى بن معين: إنه ثقة. اهـ، قال السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» ١/ ٢٠٠: الحديث ليس بموضوع، وإبراهيم بن رستم معروف، مروزي جليل، قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» ١/ ٥٦: عن أبي حاتم: يُذْكر بفقه وعبادة، ومحله الصدق، وذكره ابن حبان في الثقات ٨/ ١٧٠ (١٢٢٩٢)، وقال: يخطئ، وقال الدارقطني في «العلل» ١٣/ ٢١٩: مشهور ليس بالقوي. اهـ، وله شاهد نحوه من حديث عمر بن الخطاب، وله شواهد بمعناه كثيرة صحيحة وحسنة فوق الأربعين حديثاً، وهذا الحديث الذي نحن في الكلام عليه يحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحَسَن، والله أعلم.

(٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر أبو جعفر الفقيه البلخي الهندواني (٣٠٠ - ٣٦٢هـ)، إمام كبير من أهل بلخ، قال السمعاني: كان يقال له أبو حنيفة الصغير لفقهه، أفتى بالمشكلات، وشرح المعضلات، وكشف الغوامض، توفِّي ببخارى. انظر «العبر في خبر مَن غَبَر» للذهبي ٢/ ٣٣٤، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» للقرشي ٢/ ٦٨ (٢١١).

(٥) هو معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ (... - ٢٠٠هـ = ... - ٨١٥م) أحد أعلام الزُّهَّاد والمتصوفين، كان من موالي الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم، ولد في كرخ بغداد، ونشأ =

لما مات أبو يوسف[1] رحمة الله تعالى عليه، لم تكن من نيَّتي أن أحضر بجنازته؛ فإنَّه كان يدخلُ في أمور السلطان، فرأيته قبل أن يُدفن في المنام فقلت له: ما فَعَل الله تعالى بك؟ قال: غفر لي ربِّي، قلت: بماذا؟ قال: بنصحي للمسلمين، فانتبهت من المنام، فشهدتُ جنازته.

[واجبات المعلم]

[المراعاة والإكرام]

يجب أولاً على المعلم إذا [جيء بمبتدىءٍ][2] أن يراعيه ويكرمه، ويعزِّزه إلى يوم كان مؤنساً معه؛ لأن المبتدئ [ت١١/ب] كالطَّير الوحشيِّ، لا يأنس إلا بالتَّلطُّف، فإنَّ العلمَ أَشَقُّ عليه وأمرُّ، فيجب إصلاحه على ما يقتضيه طبعه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**العلم مرٌّ، فاجعلوه حلواً بالتَّلطُّف والتَّعطُّف**»[3]، ولا يبعد حتى لا يسمع كلامه ولا يعمل بأمره.

= وتوفِّي ببغداد، اشتهر بالصلاح، وقصده الناس للتبرك به حتى كان الإمام أحمد بن حنبل في جملة من يَخْتَلِف إليه. انظر «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحيم الأزدي ص٨٠، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ٥/ ٢٣١ (٧٢٩).

(١) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي أبو يوسف (١١٣ - ١٨٢هـ = ٧٣١ - ٧٩٨م) صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، كان فقيهاً علامة، من حُفَّاظ الحديث، ولد بالكوفة، وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه الرأي، توفي ببغداد، وهو على القضاء، وهو أول من دُعِيَ قاضي القضاة، كان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب، من كتبه: «الخراج»، و«الآثار»، وهو مسند أبي حنيفة، وأدب القاضي، وغيرها. انظر «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ١٤/ ٢٤٤ (٧٥٥٨)، و«المنتظم» لابن الجوزي ٩/ ٧١ (٩٨٨).

(٢) في (ت): جاءه مبتدئ.

(٣) لم أجده.

[تأديب المتعلم]

ثم يبتدئ ثانياً بالتَّأديب، ثمَّ بالتعليم؛ [فإنَّ التَّعليم][1] لا [يمكن][2] إلاَّ بعد التَّأديب؛ لأنَّ من [ليس][3] له أدبٌ ليس له علمٌ[4].

[تشخيص طبيعة المتعلم]

ويجب على المعلِّم أنْ يشخِّص طبيعة المبتدئ من الذَّكاوة والغباوة، ويعلِّمه على مقدار [س٩/ب] وسعته، ولا يكلِّف الزِّيادة من مقداره، فإذا كُلِّف يئس عن تحصيل العلم، فيتبع الهوى، ويشكل تعليمُه، ولا يشرك الذَّكيَّ مع الغبيِّ، فهو تقصير في الذَّكي وكسلان في الغبيِّ، ولا يغضب، بل يكرر في محلٍّ لا يفهمه حتى يفهم.

[لا يبذل العلم إلا لمن يعظمه]

ولا يعلِّم من لا يعظِّمه ولا يكرِّمه؛ فإنَّ العلم لا يحصل إلاَّ بالتعظيم والتَّكريم، ومن لا يبالي في متعلِّم وصْفه على ما ذكر، ولم يلتفت حتَّى يمرّ عليه الزمان، فقد خان في حقِّه؛ لتضييع أيامه.

---

(١) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٢) في (ت): يكون.

(٣) ما بين معكوفتين ساقط من (س).

(٤) قال الغزالي في «الإحياء» ٣/ ٧٣: ينبغي أن يُعَوَّد المتعلم أن لا يبصق في مجلسه، ولا يمتخط، ولا يتثاءب بحضرة غيره، ولا يستدبر غيره، ولا يضع رجلاً على رجل، ولا يضع كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده، فإن ذلك دليل الكسل، ويُعَلَّم كيفية الجلوس، ويُمْنَع كثرة الكلام، ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة، وأنه فعل أبناء اللئام، ويمنع اليمين رأساً - صادقاً كان أو كاذباً - حتى لا يعتاد ذلك في الصغر، ويُمْنَع أن يبتدئ بالكلام، ويُعَوَّد أن لا يتكلم إلا جواباً وبقدر السؤال، وأن يُحْسِن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سناً، وأن يقوم لمن فوقه، ويوسع له المكان، ويجلس بين يديه، ويُمْنَع من لغو الكلام وفحشه، ومن اللعن والسب، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك، فإن ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء.

[حسن العبارة مع المتعلم]

ومن الواجب على المعلم حسْنُ العبارة عند التكلُّم، وتفصيلُ الكلام، وإيضاحُه بعد ظهوره، [يعني][1]: يعبِّر [ت١٢/أ] بما ينفع المبتدئ بكلام بليغٍ فصيح الكلمات، وتفصيل لما أجمله في الكلام، وإيضاحه له على وجهٍ يفهم منه المراد بسهولةٍ، فإنَّ المعلِّم إن لم يتَّصف بهذه الأوصاف الحميدة لا يستفيد منْه المتعلِّم، وإن استفاد لا ينفعه.

فيجب على الآباء: أن يجدوا معلِّماً متّصفاً بهذه الأوصاف وتوكَّل على الله، ثمَّ فوِّض أمرك إليه، ولا يفارقه؛ فإنَّ العلم لا يحصل إلاّ بالثُّبوت، والدَّوام، كما قيل: من ثَبَتَ نَبَتَ، قال أبو حنيفة[2] رحمه الله: ثبتُّ عند حمّاد[3] رضي الله عنه فَنبتُّ.

وكذا نبتَ محمَّدٌ[4] وأبو يوسف وزفر[5] رحمهم الله، لثبوتهم عند أبي حنيفة رحمه الله.

---

(١) ما بين معكوفتين من (ت).

(٢) هو النعمان بن ثابت التيمي بالولاء، الكوفي أبو حنيفة (٨٠- ١٥٠هـ = ٦٩٩- ٧٦٧م) إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، قيل: أصله من أبناء فارس، ولد ونشأ بالكوفة، وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، توفي ببغداد، كان قوي الحجة، من أحسن الناس منطقاً، وكان كريماً في أخلاقه، جواداً، حَسَن المنطق والصورة، جهوري الصوت، إذا حدَّث انطلق في القول، وكان لكلامه دوي، له: «المسند في الحديث»، جمعه تلاميذه، و«المخارج في الفقه»، صغير، رواه عنه تلميذه أبو يوسف. انظر «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ١٣/ ٣٢٣ (٧٢٩٧)، و«تهذيب الأسماء» للنووي ٢/ ٥٠١ (٧٧١).

(٣) هو حماد بن سليمان بن أبي سليمان أبو مسلم الأشعري الكوفي، المتوفَّى سنة (١٢٠هـ)، أحد أئمة الفقهاء، العلامة الإمام، فقيه العراق، قال الذهبي: كان أحد العلماء الأذكياء، سمع أنس بن مالك، وتفقه بإبراهيم النخعي. انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٥/ ٢٣١ .

(٤) هو عبيد الله بن الحسين الكرخي أبو الحسن (٢٦٠- ٣٤٠هـ = ٨٧٤- ٩٥٢م)، الشيخ الإمام الزاهد مفتي العراق، فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية بالعراق، مولده في الكرخ ووفاته ببغداد، له: «رسالة في الأصول» التي عليها مدار فروع الحنفية، و«شرح الجامع الصغير»، و«شرح الجامع الكبير». انظر «طبقات الفقهاء» للشيرازي ص١٤٨، و«المنتظم» لابن الجوزي ١٤/ ٨٥، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٥/ ٤٢٦ .

(٥) هو زفر بن الهذيل بن قيس العنبري من تميم أبو الهذيل (١١٠ - ١٥٨هـ = ٧٢٨ - ٧٧٥م) فقيه =

[إخلاص النية في التعليم]

ويجب على المعلم أن ينوي بتعليمه إرشادَ عباد الله تعالى إلى الحقِّ، فإنَّ الله تعالى لو هدى رجلاً بسببه؛ فهو خير له من جميع أموال الدُّنيا يتصدَّق بها في سبيل الله، ولو أصلحَ المعلم النَّاصح عبداً عاصياً فهو أحبُّ إلى الله من عبادة الثقلين، يعني: الإنس والجن.

قال النبي عليه الصلاة والسلام حين بعث معاذاً إلى اليمن: **«لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من الدنيا [س١٠/أ] وما فيها»**[(١)].

[العمل بعد العلم]

وقال عليه الصلاة والسلام [ت١٢/ب]: **«خيركم من تعلَّم العلمَ وعلَّمه الناس»**[(٢)].

وروى معاذ بن جبل روايةً مرفوعةً: **«تعلُّم العلم لله تعالى حسنة، وطلبه عبادة، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهادٌ، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة»**[(٣)].

= كبير من أصحاب الإمام أبي حنيفة، أصله من أصبهان، أقام بالبصرة وولي قضاءها وتوفِّي بها، جمع بين العلم والعبادة، وكان من أصحاب الحديث فغلب عليه الرأي، وهو قياس الحنفية، وكان يقول: نحن لا نأخذ بالرأي ما دام أثر، وإذا جاء الأثر تركنا الرأي. انظر «طبقات الفقهاء» للشيرازي ص١٤١، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢/ ٣١٧ (٢٤٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٥٦٩)، من حديث معاذ، وفي البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس (٢٩٤٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٤٠٦)، من حديثِ سهل بن سعد أنه قال ذلك لعلي رضي الله عنه.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن أخرج البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه (٥٠٢٧)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن (١٤٥٢)، من حديث عثمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ١/ ٥٤، والديلمي في «مسند الفردوس» ٢/ ٤١ (٢٢٣٧)، مرفوعاً عن معاذ رضي الله عنه.

وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ٢٣٩، موقوفاً على معاذ رضي الله عنه. =

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ عَلِمَ وعَمل وعلَّم؛ فذلك الذي يُدْعَى في ملكوت السَّموات عظيماً**»[(١)].

[علامة المعلم الصالح]

وعلامة المعلِّم الناصح: قطعُ الطمع عن الخلق استحياءً من الخالق، وتقريبُ الفقير إلى نفسه في التَّعليم، والشَّفقة عليه، والتَّواضعُ للمتعلِّم، بحيث لا يظهر عليه الكبْر على ما هو المعتاد عند أبناء زماننا، والرِّفقُ عليه.

[البدء بالتعليم من الأهم إلى المهم]

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: من تقلَّد التعليم، فقد تقلَّد أمراً عظيماً، فعليه أن يحفظ آدابه ووظائفه[(٢)]، ويبدأ المعلِّم في تعليم المتعلِّم بأقرب ما يفتقر إليه الطَّالب، وأهم ما ينفعه في الدنيا والآخرة، فإنَّ التَّعليم كتعمير البيت؛ فإن الباني عمَّر البيت من أيِّ جنب خرب، وكذلك المعلِّم يعلِّم المتعلِّم من أيِّ فنٍّ جهل.

[ضياع العلم]

ولا يعلم العلم إلاَّ لأهله، قال النبي ﷺ: «**لا تطرحوا الدرّ في أفواه**

= وأخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ١/ ١٠٠، مرفوعاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ابن عبد البر: هو من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشي، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه، عن الحسن عنه، هو حديث حَسَن، ولكن ليس له إسناد قوي، وقد رويناه من طرق شتى موقوفاً، ورفعه غريب جداً.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦/ ٩٣، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ٢/ ٥، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٢/ ٢٣٠، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٤٥٧، من قول سيدنا عيسى عليه السلام.

(٢) انظر «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي ١/ ٥٥.

الكلاب»[١][٢]، وقال النبيُّ ﷺ: **«لا تعلقوا [ت١٣/أ] الجواهر في أعناق الخنازير»**[٣]، فإنَّ العلم خيرٌ من الجواهر، ومن كرهه فهو شرٌّ من الخنزير.

قال عكرمة[٤] رضي الله عنه: إنَّ لهذا العلم ثمناً، قيل له: وما هو؟ قال: أن تضعه فيمن يحسن حمله، ولا يضيِّعه[٥].

[كتمان العلم]

ولا يكتم العلم عن أهله، فإنَّ وضعَ العلم في غير أهله إضاعةٌ له، ومنعه عن أهله ظلمٌ وجورٌ، يُسأل عن كلٍّ منهما يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وهو إيجاب للتعليم.

---

(١) قال المناوي في «فيض القدير» ٦/ ٤١٠: فإن الحكمة كالدر بل أعظم، ومن كرهها أو لم يعرف قدرها فهو شر من الكلب والخنزير، ولذلك قيل: كِلْ لكل عبد بمعيار عقله، وزِنْ له بميزان فهمه حتى تسلم منه، وإلا وقع الإنكار بتفاوت المعيار، وقال علي كرّم الله وجهه وأشار إلى صدره: إن هاهنا علماً جماً لو وجدت له حَمَلَة.

(٢) أخرجه البغوي في جزئه ص٣٧ (١٠)، وابن الأعرابي في معجمه ٢/ ٤٦٥، وابن حبان في «المجروحين» ٢/ ١١٧، وابن عدي في «الكامل» ٧/ ٢٢٣، وابن المقرئ في «معجمه» ٣/ ٤٠٤، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ١١/ ٣٠٩، والديلمي في «مسند الفردوس» ٥/ ٢٤ (٧٣٣٤)، من حديث أنس رضي الله عنه.

وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٦٨: قال الدارقطني: تفرد به يحيى بن عقبة، قلت - أي: ابن الجوزي -: وهو المتهم به، قال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يُتَابَع عليه، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات، لا يجوز الاحتجاج به بحال.

(٣) انظر تخريج الحديث السابق.

(٤) هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني أبو عبد الله مولى عبد الله بن عباس (٢٥ - ١٠٥هـ = ٦٤٥ - ٧٢٣م) تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعياً، كانت وفاته بالمدينة هو وكُثَيِّر عَزَّة في يوم واحد، فقيل: مات أعلم الناس، وأشعر الناس. انظر «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٣/ ٢٦٥ (٤٢١)، و«لسان الميزان» لابن حجر ٧/ ٣٠٨ (٤٠٧٢).

(٥) انظر «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر ١/ ١٠٩ .

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ [س١٠/ ب] ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وهو تحريمٌ للكتمان.

وقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ علمَ علماً فكتمه، أُلجمَ يوم القيامة بلجام من النّار»**(١).

وقال النبيُّ ﷺ: **«يعاقَبُ العالمُ يوم القيامة لسكوته [عن علمه، ويعاتب الجاهل لسكوته]**(٢) **عن جهله»**(٣).

ولا يحلُّ للعالم أن يسكتَ عن علم، ولا للجاهل أن يسكتَ عن جهله، وقد أمر الله تعالى الجاهلَ بالسُّؤال في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وأمر العالمَ بحسنِ الردِّ على الجاهل في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ [ت١٣/ ب] فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ١٠].

[مراعاة مدارك المتعلم]

ويجب على المعلِّم أن يتكلم في كلِّ نوع من المتعلم، بما يبلغ [المتعلم](٤) ويدرك ذهنه، كما قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: **«كلموا الناس على قدر عقولهم»**(٥)، ويحدِّث الناسَ بما يُفهم القلوب سهلاً بلا مشقَّة.

---

(١) أخرجه أبو داود، «كتاب العلم»، باب كراهية منع العلم (٣٦٥٨)، والترمذي، «كتاب العلم»، باب ما جاء في كتمان العلم (٢٦٤٩)، وابن ماجه في «المقدمة»، باب من سُئل عن علم فكتمه (٢٦٦)، وابن حبان في صحيحه ١/ ٢٩٧ (٩٥)، والحاكم في «المستدرك» ١/ ١٨١ (٣٤٤) وصححه، وقال الترمذي: حديث حَسَن، وقال الحاكم: هذا حديث تداوله الناس بأسانيد كثيرة تُجْمع ويُذاكَر بها، وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) ما بين معكوفتين من (ت).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» ٥/ ٢٩٨ (٥٣٦٥)، والديلمي في «مسند الفردوس» ٥/ ١٣٩ (٧٧٤٨)، من حديث جابر رضي الله عنه، بلفظ: «لاَ يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَسْكُتَ عَنْ عِلْمِهِ، وَلاَ يَنْبَغِي لِلْجَاهِلِ أَنْ يَسْكُتَ عَنْ جَهْلِهِ».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ١٦٤: رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله موثقون.

(٤) في (ت): عقله.

(٥) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» ٤/ ٤٢٥، من حديث سعيد بن المسيب رفعه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ كَذَلِكَ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ». =

ولا يحدّث الجاهلَ المغرور الغافل برخصةٍ، فيأمن ويقول: إنَّ الله كريمٌ، فلا يسعى في العمل الصَّالح، بل لا يبالي في المعاصي، وأنت تعلم أنَّ رجاء المغفرة بغير عملٍ، إنّما هو كمثل أجير استأجره [رجلٌ][(١)] كريمٌ على إصلاح إنائه، وشرط له الأجر عليه، فجاء الأجير وكسَرَ الإناء وأفسده، ثمَّ جلس ينتظر الأجر، ويزعم أنَّ المستأجر كريمٌ، أفيراه العقلاء في انتظاره راجياً معذوراً، أم مغروراً متمنياً؟!.

ولا يشدّد عليه فييئس؛ فإن الأمن واليأس كفرٌ، فلا يحدِّث الجاهلَ بالأمن واليأس؛ لئلاّ يوقعه في الكفر، ففي حديث [س١١/أ] عليٍّ[(٢)] رضي الله تعالى عنه: «**أنَّ العالم النَّاصح من لم يُيئِّس من رحمة الله تعالى، ولم [يؤمِّنهم][(٣)] من مكر الله**»[(٤)].

= وأخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» ١/٣٩٨ (١٦١١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: «أُمِرْتُ أَنْ أُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُوْلِهِمْ».
وقال الزركشي في التذكرة في «الأحاديث المشتهرة» ص١٠٧ (٤١): «أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُوْلِهِمْ» رواه صاحب «مسند الفردوس» من جهة أبي معشر، عن رجل سماه، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً، وفي إسناده ضعيف ومجهول.

(١) ما بين معكوفتين من (ت).

(٢) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي أبو الحسن (٢٣ق هـ - ٤٠هـ = ٦٠٠ - ٦٦١م) أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي ﷺ وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة، ولد بمكة، ورُبِّيَ في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، ولما آخى النبي ﷺ بين أصحابه قال له: «أنت أخي»، ولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان، وأقام علي بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة (١٧) رمضان المشهورة، واخْتُلِف في مكان قبره. انظر «الاستيعاب» لابن عبد البر ٣/١٠٨٩ (١٨٥٥)، و«أسد الغابة» لابن الأثير ٤/١٠٠ (٣٧٧٥).

(٣) في (ت): يؤمن.

(٤) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» ١/٣٢: رواه أبو بكر بن لال في «مكارم الأخلاق»، وأبو بكر بن السني في «رياضة المتعلمين»، وابن عبد البر في «العلم» ٢/٤٤، من حديث علي، وقال ابن عبد البر: أكثرهم يُوْقِفونه عن علي. اهـ.
وأخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» ١/١٣٥ (٤٧٤).

ولا يذهب بلا مبالاة في وجوه الحديث وفي توجيهاته، وفي الحديث: **«إن [تدقيق]**(١) **الكلام من الشيطان»**(٢).

ولا يكثر على المستمع إكثاراً يورثه الملالة، ويخبره [ت١٤/أ] ما عنده من العلم على وجهه، أي: كما سمعه، لا يزيده ولا ينقصه؛ فإنَّ خيانة الرَّجل في العلم أشدُّ من خيانته في المال، ولا يحدِّث بكلِّ ما سمع؛ فإنَّ بعضه قد يكون كذباً غير مطابقٍ للواقع، فربَّما يقع بسببه فيما يصير وبالاً، فإنْ قال بسماع ولم يتحقَّق من صحَّته، بل يتكلَّم على سبيل الشُّبهة والجرأة، دخل النار بغير حساب، يعني: هذا القول يكفي لأن يكون سبباً لدخول النار، ولا حاجة إلى أن يحاسب.

ولا يجيب المعلِّم عن سؤال المتعلِّم [طالباً ذلَّه]، بل بالشَّفقةِ والمرحمة، والله أعلم بالصَّواب.

---

(١) في (ت): توفيق.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥٦٤٥)، والبخاري في الأدب المفرد ص٣٠٢ (٨٧٥)، وابن حبان في صحيحه ١٣/ ٢٥ (٥٧١٨)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قدم رجلان من المشرق خطيبان على عهد رسول الله ﷺ، فقاما فتكلما، ثم قعدا، وقام ثابت بن قيس خطيب رسول الله ﷺ فتكلم، ثم قعد، فعجب الناس من كلامهم، فقام النبي ﷺ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، فَإِنَّمَا تَشْقِيقُ الْكَلامِ مِنَ الشَّيْطَانِ».

الباب الثالث في المتعلم

[ما يجب على الآباء]

يجبُ على الآباء تأديبُ الأبناء وتربيتهم، وإرسالهم إلى المعلِّم إذا بلغ أربع سنين، وأربعة أشهر، وأربعة أيام، فإنَّ الأب إذا لم يؤدِّب ابنه ولم يحسن أدَبَه، ولم يُجْلسه بين يدي المعلم؛ ظهرت آثارُ الانحراف في جميع أعضائه خصوصاً في لسانه، وذهب استعدادهُ وقابليته [للعلم][(١)]، وحدث الجهلُ والطُّغيانُ وأنواع المعاصي فيه، فيحصل للأب حصَّة من سوء عمله، فيعاقب عليها بمثل ما عوقب ابنه، كما قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: **«كلكم راعٍ وكلُّكم [ت١٤/ ب] مسؤول عن رعيته»**[(٢)].

فإنَّ الخلقةَ على الإسلام، والقابليَّةَ، والاستعدادَ للعلم، وسائرَ السَّعادات الدينية والدُّنيوية، وزوالها عن الأبناء؛ إنَّما هو سببه الأبوان، كما قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام [س١١/ ب]: **«كلُّ مولودٍ يولد على فطرة الإسلام، إلاَّ أنَّ أبويه يهوِّدانه أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه»**[(٣)] الحديث.

وكذلك كلُّ مولودٍ يولد على القابلية، والاستعداد للعلم، إلاَّ أنَّ أبويه يجهِّلانه، فإنَّ الابن إذا اكتسب الأدب والعلم والمعرفة، وأنواع السعادات الدُّنيوية والأخروية، حصل من هذه الأوصاف الحميدة ثواب كثيرٌ له ولأبويه، كما قال النَّبي عليه الصلاة والسلام: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من**

---

(١) ما بين معكوفتين من (ت).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٨٩٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر. . . (١٨٢٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٥)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[ثلاثة أشياء][١]: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٢]، كما مرَّ.

[تعليم الولد القرآن]

قيل: إنَّ رجلاً أتى إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله، ما أجر من علَّم ولده القرآن؟ فقال عليه الصلاة والسلام: **«القرآن كلام الله تعالى ولا غاية له، فجاء جبرائيل فقال: يا محمد، إنَّ الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول: من علم ولده القرآن كأنما حجَّ البيت عشرة آلاف مرَّة، وأعتق عشرة آلاف رقبة من ولد [ت١٥/أ] إسماعيل، وأطعم عشرة آلاف مسكينٍ مسلمٍ جائعٍ، وكأنما كسا عشرة آلافِ عريان مسلم، ويُكتب له بكلِّ حرف عشرَ حسناتٍ، ويُمحى عنه عشر سيئات، ويكون معه في القبر إلى يوم القيامة، ويكون حجَّته بين يدي الله تعالى، ولم يفارقه حتّى يدخل الجنَّة»**[٣].

[تعليم الولد الكلام الطيب]

ويجب على كل مسلم أن يُجريَ لسانَ ابنه على كلام طيِّب، وألفاظ مليحة، ويحرزه عن كلمات الفحش والمهملات إذا ابتدأ التكلُّم، كما قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: **«أكرموا أولادكم، وأحسنوا آدابهم[٤]»**[٥].

---

(١) في (ت): ثلاث.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١٦٣١)، والترمذي، كتاب الأحكام، باب في الوقف (١٣٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لم أجده.

(٤) قال المناوي في «فيض القدير» ٢/ ٩٠: بأن تعلموهم رياضة النفس، ومحاسن الأخلاق، وتخرجوهم في الفضائل، وتمرِّنوهم على المطلوبات الشرعية، ولم يُرِد إكرامهم بزينة الدنيا وشهواتها، والأدب: استعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً، واجتماع خصال الخير، أو وضع الأشياء موضعها، أو الأخذ بمكارم الأخلاق، أو الوقوف مع كل مستحسن، أو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك، أو مجالسة الخلق على بساط الصدق، ومطالعة الحقائق بقطع العلائق.

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات (٣٦٧١)، والعقيلي في =

[بعض الآداب التي لا بد منها]

ومن تأديبه: الانحناء للعاطس والشَّارب، ومطارقة النَّعلين، وقُبَلُ اليدِ عند خروج الحمّام، والجلوس على ركبتيه [س١٢/أ]، والقيام عند مجيء الكبير، وفتح الباب عند ذهابه وغير ذلك، وهذه التّربية واجبةٌ على الأب لا على الأستاذ، فإنَّ الابن على ما رآه في حال الصّبا من الأقوال والأفعال، كما قيل: العلمُ في الصِّغر، كالنَّقش في الحجر.

[واجبات المتعلم]

[طاعة المعلم]

يجب على المتعلِّم: امتثال أوامرِ أستاذهِ، إلاّ أن يأمره بالمناهي، فإنَّه يخالفه، ويجب على المتعلِّم: تعظيم العلم وأهله وأستاذه.

اعلَمْ بأنَّ المتعلِّمَ لا ينال العلمَ [ت١٥/ب] ولا ينتفع به إلاّ بتعظيمِ العلمِ وأهلهِ، وبتعظيمِ أستاذهِ.

قيل: ما وصل من وصلَ إلاَّ بالحرمة، وما سقطَ من سقطَ إلاَّ بترك الحرمة.

وقيل: الحرمة خيرٌ من [الطّاعة][(١)]، ألا يرى: أنَّ الإنسان لا يكفر بالمعصية، ولكن يكفر باستخفافها، ومن تعظيم العلم تعظيم الأستاذ، قال عليٌّ رضي الله عنه: أنا عبْدُ من علَّمني حرفاً، وقال عليٌّ رضي الله عنه: من علَّمني حرفاً فقد صيّرني عبداً، إن شاءَ باعَ، وإن شاءَ خُدم[(٢)].

= «الضعفاء» ١/ ٢١٤، والقضاعي في «مسند الشهاب» ١/ ٣٨٩ (٦٦٥)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٨/ ٢٨٨، والديلمي في «مسند الفردوس» ١/ ٦٧ (١٩٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٧/ ١٣٨، من حديث أنس رضي الله عنه.

(١) في (ت): الطاعات.

(٢) قال العجلوني في «كشف الخفاء» ٢/ ٣٤٧ (٢٥٤٣): «مَنْ عَلَّمَ عَبْداً آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى فَهُوَ لَهُ عَبْد»، رواه الطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً، لكن بلفظ: «فهو مولاه»، ونحوه ما جاء عن شعبة أنه =

ونعم ما قيل:

رأيتُ أحقَّ الحقِّ حقَّ المعلِّمِ وأوجبه حفظاً على كلِّ مسلمِ[١]
لقد حقَّ أنْ يُهدى إليه كرامةً لتعليم حرفٍ واحدٍ ألفُ درهمِ

وقال شمس الأئمة الحلَواني[٢]: إنّما نلتُ هذا العلم بتعظيم المعلم.

[التواضع مع المعلم]

ويطلب المتعلِّم مسرَّة المعلِّم بالتَّواضع، والتَّملُّق، والدُّعاء، والخدمة، والنُّصرة، وغير ذلك.

[تقديم حق المعلم على حق والديه]

ويقدِّم حقَّ أستاذه على حق أبويه وسائر المسلمين، كما قال النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**خير الآباء من علَّمك**»[٣].

= قال: من كتبت عنه أربعة أحاديث أو خمسة فأنا عبده حتى أموت، بل في لفظ عنه: ما كتبت عن أحد حديثاً إلا وكنت له عبداً ما حيي، قال النجم: وفي الحديث زيادة بعد قوله: «فهو مولاه، ينبغي أن لا يخذله، ولا يستأثر عليه، فإن هو فعل قصم عروة من عرا الإسلام»، والمشهور على الألسنة: من علمني حرفاً كنت له عبداً، وأما من علَّم أخاه آية من كتاب الله فقد ملك رقبته، فقال ابن تيمية: إنه موضوع، وتبعه في الذيل.

(١) البيتان من البحر الطويل، ولم أعثر عليهما.

(٢) هو عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح الحلواني البخاري، أبو محمد الملقب بشمس الأئمة (... - ٤٤٨هـ = ... - ١٠٥٦م) فقيه حنفي، نسبته إلى عمل الحلواء، وربما قيل له: الحلوائي، كان إمام أهل الرأي في وقته ببخارى، من كتبه: «المبسوط في الفقه»، و«النوادر في الفروع»، و«الفتاوى»، و«شرح أدب القاضي» لأبي يوسف. انظر «تاريخ الإسلام» للذهبي ٣٠/ ٣٩٨، و«الجواهر المضية» للقرشي ١/ ٣١٨ (٨٤٧).

(٣) لم أجده هكذا، ولكن أخرج البيهقي في «شعب الإيمان» ٦/ ٤٠٣ (٨٦٧١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٩/ ٤٦٥، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية، عن أبيه قال: قال زيد بن علي لابنه: إن الله عز وجل رضيني لك فحذرني فتنتك، ولم يرضك لي فأوصاك بي، يا بني، خير الآباء من لم تدعه المودة إلى الإفراط، وخير الأبناء من لم يدعه التقصير إلى العقوق.
قال الفخر الرازي في تفسيره ٢٠/ ١٤٩، وابن عادل في «اللباب» ١٢/ ٢٥١: ومن الكلمات المشهورة المأثورة: خَيْرُ الآبَاءِ من عَلَّمكَ.

وقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**إنَّما المعلِّم [أبٌ لكم]**[(١)]**، مثل الوالد لولده**»[(٢)].

بل هو الوالد على الحقيقة، فإنَّ الأب سبب الحياة الفانية، والمعلّم سببُ الحياة الباقية، ولذلك يقدَّم حقُّه على حقِّ الأبوين.

وقال بعضهم: الآباءُ ثلاثة [ت١٦/أ]: أبٌ [س١٢/ب] ربَّاك، وأبٌ ولدك، وأبٌ علَّمك، وخير الآباء من علَّمك.

قال يحيى بن معاذ: المعلِّم خيرٌ من آبائكم وأمَّهاتكم؛ لأنَّ آباءكم وأمهاتكم يحفظون من نار الدُّنيا، ومعلِّم الخير يحفظ من نار الآخرة.

وفي الخبر: قيل لإسكندر ذي القرنين: لِمَ تُعظِّم أستاذك أكثر من أبويْك؟ فقال: لأنَّ أبي أنزلني من السَّماء إلى الأرض، وأستاذي يرفعني من الأرض إلى السَّماء.

[الكرم مع المعلم]

ولا يبخل المتعلِّم بشيء من ماله عن أستاذه، ويحمل ما [يسمع][(٣)] من خطاياه على أحسن التَّأويل، كما قال النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**حمل المؤمن على الصَّلاح هو أقربُ في الفلاح**»[(٤)]، وهو الفوز والنجاة.

[الجدية في العلم]

ولا يضحك في العلم وسماعه، ولا يلعب فيه فيموت قلبه، ولا يجادل معه في العلم، ولا يعارض فإنَّه يدقُّ باب الضلال، ويورِثُ الملال.

---

(١) في (ت): آباؤكم.

(٢) لم أجده هكذا، ولكن أخرج أبو داود، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة (٨)، والنسائي، كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستطابة بالروث (٤٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ...».

(٣) في (ت): يرى.

(٤) لم أجده.

[تعظيم الكتب]

ومن تعظيم العلم تعظيم الكتاب، وعدم مدِّ الرِّجل نحو الكتاب، وينبغي للمتعلِّم ألاَّ يأخذ الكتابَ إلاَّ بطهارةٍ، ويضع كتاب التفسير فوق سائرِ الكتب، ولا يضع على [ت١٦/ب] الكتاب شيئاً آخر.

[تعظيم المعلم]

ولا يمشي أمام أستاذه، ولا يجلس مكانه، ولا يبتدئ الكلام عِنْدَه إلاَّ بإذنه، ولا يسأل شيئاً عند ملاله، والحاصل كان في رضائه من أيِّ وجه كان، ويحترز عن سخطه.

[تعظيم أولاد المعلم]

ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء، وتعظيم أولاد أستاذه ومنْ يتعلَّق به.

حكى صاحب الهداية[1]: أنَّ واحداً من كبار أئمَّة البخاري، كان يجلس مجلس الدَّرس، وكان يقوم في أثناء الدَّرس أحياناً، فسألوا عنه، فقال: إنَّ ابن أستاذي يلعب مع الصِّبيان في السكة، ويجيء أحياناً إلى باب المسجد، فإذا رأيته أقوم تعظيماً لأستاذي.

[التملق في طلب العلم]

والتَّملُّق[2] مذموم إلاَّ في [طلب][3] العلم [س١٣/أ]؛ فإنَّه ينبغي أن

(١) هو علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني أبو الحسن برهان الدين (٥٣٠ - ٥٩٣هـ = ١١٣٥ - ١١٩٧م) من أكابر فقهاء الحنفية، نسبته إلى مرغينان (من نواحي فرغانة) كان حافظاً مفسراً محققاً أديباً، من المجتهدين، من تصانيفه: «بداية المبتدي في الفقه»، و«شرحه الهداية في شرح البداية»، و«منتقى الفروع»، و«الفرائض»، و«التجنيس والمزيد في الفتاوى»، و«مناسك الحج»، و«مختارات النوازل». انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٢١/ ٢٣٢.

(٢) المَلَقُ: الوُدّ واللطف الشديد، وأصله التليين، وقيل: المَلَقُ شدة لطف الودّ، وقيل: الترفق والمداراة، والمعنيان متقاربان. . . والمراد منها في الحديث الآتي: الزيادة في التَّوَدُّد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي. انظر «لسان العرب» لابن منظور، مادة (ملق).

(٣) في (ت): طالب.

يتملَّق لأستاذه، وشركائه، ليستفيد منهم، قال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: الحلمُ زينةُ العلم، والتَّذلُّل زينة المتعلِّم، كما مرَّ.

قال عليه الصلاة والسلام: **«ليس من أخلاق المؤمن التَّملُّق إلاَّ في [طلب][(١)] العلم»**[(٢)].

[الدعاء للمعلم]

[وينبغي لطالب العلم][(٣)]: أن يستمع العلم والحكمة، بالتَّعظيم والحرمة، [ت١٧/أ] ومن تعظيم الأستاذ الدُّعاء له بالخير سرّاً وجهراً، والخِدمةُ له والنُّصرة.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ علَّم عبْداً آية من كتاب الله تعالى فهو مولاه»**[(٤)]، لا يترك عونه ولا نصرته، ولا يختار على أستاذه أحداً، فإذا فعل ذلك، ضيَّع ما حصله منه.

[طهارة النفس]

ويجب على المتعلِّم: تقديم طهارة النَّفس عن رذائل الأخلاق لقوله عليه الصلاة والسلام: **«بني الإسلام على النَّظافة»**[(٥)].

---

(١) في (ت): طالب.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٤/ ٢٢٤ (٤٨٦٣)، من حديث معاذ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنْ خُلُقِ المُؤْمِنِ التَّمَلّقُ وَلاَ الحَسَدُ إِلاَّ فِيْ طَلَبِ العِلْمِ»، قال البيهقي: الحسن بن دينار ضعيف بمرَّة، وكذلك خصيب بن جحدر، ورُوِيَ من وجه آخر ضعيف.
وأخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ١/ ٢١١ (٣٨٨)، بنفس لفظ البيهقي من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) ما بين معكوفتين من (ت).

(٤) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» ٢/ ٧ (٨١٨)، و«المعجم الكبير» ٨/ ١١٢ (٧٥٢٨)، و«تمام في فوائده» ١/ ١٥٣ (٣٥٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٢/ ٤٠٦ (٢٢١٤)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ١٢٨، وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبيد بن رزين اللاذقي، ولم أرَ من ذكره.

(٥) قال الملا علي القاري في «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» ص١٥٣ (١٢٧): «بُنِيَ الدِّيْنُ =

وما هذه في الثِّياب فحسب؛ بل في القلب، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، فبيَّن أنَّ النَّجاسة لا تختص بالثِّياب؛ فمَن لم ينظِّف الباطن عن الخبائث لا يقبل العلم النافع، ولا يستضيء بنور العلم.

[تفويض المعلم في اختيار نوع العلم]

ويجب على المتعلِّم: ألاَّ يختار نوع العلم بنفسه؛ بل يفوِّض أمره إلى أستاذه، فإنَّ الأستاذ قد حصل له التَّجارب في ذلك، فكان أعرفَ ما ينبغي لكلِّ واحدٍ، وما يليق بطبيعته.

وقال برهان الدِّين(١) رحمه الله: كان طالب العلم في الزَّمان الأوَّل يفوِّض أمره إلى أستاذه، وكان يصل إلى مقصوده [ت١٧/ب] ومراده، والآن يختارون بأنفسهم، ولا يصلون مقصودهم من العلم.

[عدم التكبر على المعلم]

ويجب على المتعلم: ألاَّ يتكبَّر على المعلِّم، ولا يتأمَّر عليه، بل يلقي زمام الاختيار إليه.

[السفر في طلب العلم]

وينبغي للمتعلِّم: أن يقلل علائقَه، ويبعد عن وطنه؛ حتَّى يتفرَّغ قلبه للعلم، كما قال الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ [س١٣/ب] لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤]، ولذلك قيل: العلم لا يعطيك بعضه، حتَّى تعطيه كلَّك.

= عَلَى النَّظَافَةِ». ذكره في «الإحياء»، وقال مخرِّجه: لم أجده، ذكره ابن الديبع، قلت: لفظه: لم أجده هكذا، وفي «الضعفاء» لابن حبان ٣/ ٥٧، من حديث عائشة: «تنظفوا فإن الإسلام نظيف»، وللطبراني بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود: «النظافة تدعو إلى الإيمان». انتهى
وقال السيوطي: وأقرب منه ما أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في النظافة (٢٧٩٩)، عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «إن الله نظيف يحب النظافة، فنظفوا أفنيتكم». انتهى.

(١) هو المرغيناني صاحب «الهداية»، المتقدمة ترجمته قبل قليل.

[الابتعاد في الجلوس عند المعلم]

وينبغي للمتعلِّم: ألاَّ يجلس قريباً من أستاذه عند قراءة الدَّرس بغير ضرورة، بل ينبغي أن يكون بينه وبين أستاذه قدْرَ القوس.

[إخلاص النية]

ويجبُ أن ينوي المتعلِّم بتحصيل العلم رضاء الله تعالى، والدَّار الآخرة، وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهَّال، وإحياء الدِّين، وإبقاء الإسلام، فإنَّ بقاء الإسلام بالعلم، وينوي به الشُّكر على نعمة العقل، وصحَّة البدن.

ولا ينوي به إقبال النَّاس إليه، واستجلاب متاع الدُّنيا، والإكرام عند السُّلطان وغيره، وقال حمَّاد رحمة الله عليه أستاذ أبي حنيفة رحمه الله تعالى:

مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِلْمَعَادِ ... فازَ بفضلٍ [ت١٨/أ] من الرَّشاد[١]

فيا لخسران طالبيه ... لنيل فضلٍ من العباد

اللهم إلاَّ إذا طلب الجاه للأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وتنفيذ الحقِّ، وإعزاز [العلم وإحياء][٢] الدِّين، لا لنفسه.

[التميز في اللباس]

وينبغي أن يكون العلماء وطلاب العلم في زماننا أحسن ثياباً، وأعظم عمامةً، وأوسع أكماماً فرْقاً عن الجهلاء، كما قال أبو حنيفة رحمه الله لأصحابه: عظِّموا [عمائمكم][٣]، ووسِّعوا أكمامكم[٤]، قال ذلك لئلاَّ يُستخفَّ بالعلم وأهله.

ومن طعن بأطوار علماء زماننا التي هي لتنفيذ الحقِّ، وإعزاز العلم وإحياء

---

(١) البيتان من مخلع البسيط، انظرهما في «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٣/ ٣٢، و«الازدهار فيما عقد الشعراء من الأحاديث والآثار» للسيوطي ص٣ .

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٣) في (ت): أعمامكم.

(٤) انظر «نشر طي التعريف في حملة العلم الشريف» لجمال الدين الحبيشي ص١٢٥ .

الدِّين يكفُر، وأمَّا الأطوار التي لمجرَّد العرف، والتَّعظيم فيما بينهم، فليس بشيء.

[مخالفة الوالدين في التعلم]

ويجوز المخالفة لوالديه في التَّعلُّم، قال في «منبع الأدب»(١): قيل: كلُّ ما لا يؤمنُ من الهلاك مع جهله، فطلبُ علمه فرضُ عينٍ، لا يجوزُ تركهُ وإن منع الأب عن طلبهِ، سواء كان من الأمور الاعتقادية كمعرفة الصّانع [س١٤/أ] وصفاته، وما يجب له، وما يستحيل عليه، وما يجوز، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، الصادق في أفعاله وأقواله، ومن الطاعات التي تتعلق بالظاهر كالطهارة، والصلاة، [ت١٨/ب] والصوم، وغيرها.

أو مما يتعلَّق منها بالباطن: كالنيَّة، والإخلاص، والتوكُّل، والصبر، والشُّكر، وغيرها.

ومن المعاصي التي تتعلَّق بالظَّاهر: كالنظر بشهوة إلى أجنبيَّة أو أمردٍ، والغيبة، وكلِّ ما يتعلَّق باللِّسان، وكشربِ الخمر، والزِّنا، وأكل الحرام والرِّبا، وغير ذلك.

أو مما يتعلَّق منها بالباطن: كالحسد، والكبر، والرِّياء، وسوء الظنِّ وغير ذلك، فإن معرفة هذه الأشياء فرض عين، ويجب على المكلَّف طلبها وتحصيلها وإن لم يأذن له أبواه.

[تقديم الأهم من العلوم]

ويجب على المتعلِّم: أن يقدِّم في التَّعلم الأهم من العلوم وهو الصرف والنَّحو، وغيرهما على الترتيب.

---

(١) قال حاجي خليفة في «كشف الظنون» ٢/١٨٤٧: منبع الأدب في تصريف كلام العرب، ليحيى بن عمر، انتخبه من جمال العرب.

وذلك أنَّ العلماء لا يصلون مقاصدهم من العلوم إلا بسبب الألفاظ، والألفاظ لا تحصل إلاَّ بهما.

وعن عبد الله بن المبارك أنَّه قال: مات أبي وخلَّف لي ستين ألف درهم، فأنفقت منها ثلاثين ألف درهم في تعلُّم الفقه، وثلاثين ألفاً في تعلُّم النحو والأدب، وليت الذي أنفقته في تعلُّم الفقه، أنفقته في تعلُّم النحو والأدب، فإنَّ النصارى كفروا بتحريف حرف واحدٍ من [ت١٩/أ] كتاب الله تعالى، حيث وجدوا في الإنجيل مكتوباً: إنِّي أنا الله ولَّدتُ عيسى عن عذراء بتول - أي: منقطعةٍ عن الأزواج بتشديد لامِ ولَّدت - فقرؤوها بتخفيفها فكفروا.

قيل:

النَّحو زين للفتى [يكرم به][١] حيث أتى[٢]
فمن لم يعرف النَّحو فواجب أن يسكتا

ويأخذ من كلِّ علمٍ أحسنه وأرشده، أي: ما يُرشد صاحبه إلى الصِّراط المستقيم، كالفقه، والحديث [س١٤/ب]، والتَّفسير من العلوم الشَّرعية والصَّرف، [والنَّحو، والمعاني في العلوم العربية.

قال الشافعيُّ[٣] رحمه الله تعالى][٤]: إنما العلم منيع غوره، فخذوا من كلِّ علم أحسنه، ويكتب ويستفيد، ويطلب من كلِّ فنٍّ نصيباً كافياً غير زائدٍ

(١) في (ت): يكرمه.

(٢) البيتان من مجزوء الرجز، ولم أعثر عليهما.

(٣) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله (١٥٠ - ٢٠٤هـ = ٧٦٧ - ٨٢٠م) أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة، ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، قال المبرد: كان الشافعي أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات، أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة، له تصانيف كثيرة، أشهرها «كتاب الأم» في الفقه، و«المسند في الحديث»، و«أحكام القرآن»، و«السنن»، و«الرسالة» في أصول الفقه. انظر «الثقات» لابن حبان ٩/ ٣٠ (١٥٠١٦)، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٢/ ٥٦ (٤٥٤).

(٤) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

على قدر الحاجة، فإنَّ التَّفنُّن لازمٌ للعلم، ولذلك قيل: من طلبَ الله تعالى بعلم الكلام وحده يصير زنديقاً[١]، ومن طلبَ الله تعالى بالزُّهد وحده غير مقارنٍ للعلم ارتكب البدعة[٢]، ومَنْ طلبَ الله تعالى بالفقه وحده صار فاسقاً، ومن تفنَّن تخلَّص من كلِّ ذلك.

[اغتنام الوقت]

ويجب على المتعلِّم: أن يكون مستفيداً في كلِّ وقتٍ، [حتَّى يحصل له الفضل، وأن يكون معه][٣] في كلِّ وقت محبرةٌ، حتى يكتب ما سمعه من الفوائد، ولذلك قيل: مَن حَفِظ فرَّ، ومَن كَتَبَ قرَّ[٤].

وقيل: أحسَنُ العلم ما يحفظ من أفواه الرِّجال؛ لأنَّهم يحفظون [أحسن ما يسمعون، ويقولون أحسن ما يحفظون][٥].

---

(١) قال ابن منظور في «لسان العرب»، مادة (زندق): الزنديق: القائل ببقاء الدهر، فارسي مُعَرَّب، وهو بالفارسية: زند كراي، يقول بدوام بقاء الدهر، والزندقة: الضيق، وقيل: الزنديق منه؛ لأنه ضيق على نفسه، قال في «التهذيب»: الزنديق معروف، وزَنْدَقَتُهُ أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق. . . فإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا: ملحد ودهري. اهـ.

وقال د. محمد رواس قلعه جي في «معجم لغة الفقهاء» ص٢٣٤: الزنديق: من لا يدين بدين، ومن يبطن الكفر ويظهر الإسلام.

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية»، مادة (بدع): البدعة بِدْعَتَان: بدعة هُدىً وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمَر الله به ورسوله ﷺ فهو في حَيِّز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عُموم ما ندب الله إليه وحضَّ عليه الله أو رسوله ﷺ فهو في حيز المدح، وما لم يكن له مثال موجود كنَوْع من الجُود والسخاء وفِعْل المعروف فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما وَرَدَ الشرع به؛ لأن النبي ﷺ قد جعل له في ذلك ثواباً فقال: «من سَنَّ سُنة حسَنة كان له أجْرها وأجرُ من عَمِل بها»، وقال في ضِدِّه: «ومن سن سُنة سيئة كان عليه وزْرُها وَوِزْرُ من عَمِل بها»، وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ. . . وأكثر ما يُستعمل المبْتدَع عُرفاً في الذمّ.

(٣) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٤) انظر «زهر الآداب» للقيرواني ١/ ١٤٠ .

(٥) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

[من طلب العلم]

ولا يعرضُ المتعلِّم [عن العلم والتَّعلم، إذا لم يؤثر في قلبه شيءٌ][١] من العلم، فإنَّ العلم إذا دخلَ السمع نفعه يوماً، وكذا عمل بما علِمَ ولم يتركه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ما لا يدرك [كلُّه]**[٢] **لا يتركُ كلُّه**»[٣].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ عملَ بما علم، ورَّثه الله تعالى علم ما لم يعلم**»[٤].

[حسن السؤال]

ويحسن سؤالَه، فإنَّ حُسنَ السؤال نصفُ العلم[٥]، والسؤالُ مفتاح خزائن العلم، فإنَّ صدورَ العلماءِ خزائن العلم، فَيَفتحُ أبوابَها - أي: أفواههم - بالسؤال عنهم.

. [العلم في الصغر]

ويجب على المتعلِّم: أن يتعلَّم في صغره، قبلَ البلوغِ أو بعدهُ، ففي

---

(١) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٢) في (ت): كُنْهُه.

(٣) قال العجلوني في «كشف الخفاء» ٢/٢٥٦ (٢٢٥٨)، و«الغزي في الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث» ص٢٠١ (٤٣٣): ما لا يُدْرَك كله لا يُتْرَك كله، هو في معنى الآية: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن: ١٦]، والحديث: «اتق الله ما استطعت»، ولفظ الترجمة قاعدة وليس بحديث.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ١٠/١٥، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين، عن عيسى بن مريم عليه السلام، فَوَهِم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقُرْبِه، وهذا الحديث لا يُحْتَمَل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل.

وقال ابن السبكي في «طبقات الشافعية» ٦/٢٩٠: لم أجد له إسناداً.

وقال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص٢٨٦ (٤٣): ضعيف.

(٥) قال المناوي في «فيض القدير» ٣/١٨١: لأن السائل إذا أحسن السؤال مع شيخه أقبل عليه، وبيَّن له ما أشكل عليه مراعاة لأدبه معه، ويترتب على ذلك أن ينتفع بعلمه.

الحديث: «**مثل الذي يتعلَّم [الفرض]**[(١)] **في صغره كالوشم على الصَّخرة**[(٢)]»[(٣)]، أي: النَّقش على الحجر، كما قيل: العلم في الصغر كالنَّقش على الحجر، كما مرّ والعلم في الكبر كالنَّقش على المدَرَ.

والذي يتعلَّمُ في الكبر كالذي يكتب على الماء [س١٥/أ] المتجمد؛ فإنَّه يزول سريعاً، إلاَّ من يهديه الله تعالى فإنَّه لا مانع لهداية الله.

[العلم ضالة المتعلم]

ويجب أن يتعلَّم من كلِّ عالمٍ صغيرٍ، وكبيرٍ، وغنيٍّ، وفقيرٍ، ولا يستنكف من استفادة العلم ممَّن هو [ت٢٠/أ] أدنى حالاً منه - أي: من المتعلم - فإنَّ العلمَ ضالَّةُ المؤمن، أخذها حيث وجدها.

وأيضاً: العلم سببُ النَّجاة من سَبُع الجهل، ومَنْ طلبَ مهرباً من سَبُعٍ يُهلكه، لا يفرِّقُ بين مُرشد الشَّريف أو الحقير إلى المهرب، وكذلك يجب لطالب [المهرب] عن سبع الجهل: ألاَّ يفرِّق بينهما.

---

(١) ما بين معكوفتين من (ت).

(٢) قال المناوي في «فيض القدير» ٥/٥٠٩: لأنه في الصغر خالٍ عن الشواغل، وما صادف قلباً خالياً تَمَكَّن فيه، ونظمه نفطويه فقال:

أراني أنسى ما تعلمت في الكبر ... ولست بناسٍ ما تعلمت في الصِّغَر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبا ... وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر
ولو فلق القلب المعلم في الصبا ... لألفي فيه العلم كالنقش في الحجر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف ... إذا كَلَّ قلب المرء والسمع والبصر

(٣) لم أجده هكذا، ولكن قال العجلوني في «كشف الخفاء» ٢/ ٨٥ (١٧٥٧): «العلم في الصِّغَر كالنقش في الحجر» رواه البيهقي عن الحسن البصري من قوله، وأخرجه ابن عبد البر عنه بلفظ: «طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر»، ورواه الطبراني في «الكبير» بسند ضعيف عن أبي الدرداء مرفوعاً، بلفظ: «مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء»، وللبيهقي في «المدخل»، عن إسماعيل بن رافع رفعه: «من تعلم وهو شاب كان كوسم في حجر، ومن تعلم في الكبر كان كالكاتب على ظهر الماء»، لكنه منقطع؛ لأن إسماعيل ممن يروي عن سعيد المقبري وغيره من التابعين مع ضعفه.

[الجد والمواظبة]

ويجب على المتعلِّم [الجدُّ][١] والمواظبة والملازمة لطلب العلم، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ][٢] ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

كما قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**من طلب [شيئاً][٣] وجدَّ وجَد، ومن قرع باباً ولجَّ ولج**»[٤].

قيل: بقدر سعيك تنال ما تتمنَّى، فإنَّ العلم كنزٌ لا يحصل إلاَّ بالمشقَّة، فإن من لم يصبر على مشقَّة العلم ساعة يبقى في ظلمات الجهل أبداً.

ويجب في تحصيل العلم من سعي ثلاثةٍ: المعلِّم، والمتعلِّم، والأبُ إن كان حياً، وإذا فُقدَ واحد فُقدَ العلم.

[اختيار وقت الحفظ]

ويجب على المتعلِّم مواظبة الدَّرس، والتكرار في أوَّل اللَّيل وآخره، فإنَّ ما بين العشاءين[٥]، ووقت السَّحر[٦]، وقتٌ مباركٌ.

---

(١) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٢) ما بين معكوفتين من (ت).

(٣) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٤) لم أجده هكذا، ولكن قال العجلوني في «كشف الخفاء» ٢/٣١٨ (٢٤٥١): (من جد وجد) قال في «التمييز»: ليس بحديث، بل هو من الأمثال السائرة، وقال القاري: لا أصل له، بل هو من كلام بعض السلف، وكذا حديث: (من لجَّ ولج)، قال النجم: وربما قيل: من طلب وجدَّ وجد، وهو بمعنى: «لكل مجتهد نصيب»، وليس في الحديث.

(٥) أراد بذلك: المغرب والعشاء.

(٦) قال الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» ٢/٢٠٧: اعلم أن للحفظ ساعات ينبغي لمن أراد التحفظ أن يراعيها، وللحفظ أماكن ينبغي للمتحفظ أن يلزمها، فأجود الأوقات الأسحار، ثم بعدها وقت انتصاف النهار، وبعدها الغدوات دون العشيات، وحفظ الليل أصلح من حفظ النهار، قيل لبعضهم: بِمَ أدركت العلم؟ قال: بالمصباح، والجلوس إلى الصباح، وقيل لآخر فقال: بالسفر، والسهر، والبكور في السحر.

قيل:

يـا طـالـب الـعـلـم بـاشـر الـوَرَعـا   وجانب [ت٢٠/ب] النَّوم، واترك الشِّبَعا[١]

ودم عــلــى الـدَّرس، لا تـفـارقـه   فـإنَّ الـعـلـمَ بـالـدَّرس قـامَ وارتـفـعـا

[الهمة العالية]

ويجب على المتعلِّم الهمَّةُ العالية في العلم وغيره، فإنَّ المرء يطير بهمَّته كالطير يطير بجناحيه.

وقيل:

على قدرِ أهل العزم تأتي العزائمُ   وتأتي على قدرِ الكرام المكارم[٢]

وأما إذا كانت له همَّة، ولم يكن له جدٌّ، أو كان له جدٌّ ولم تكن له همَّةٌ عالية؛ فلا يحصل له من العلم [س١٥/ب] إلا قليل.

[التقوى في طلب العلم]

ويجب على المتعلِّم: [الصلاح والتقوى][٣]، فإنَّ العلمَ لا يحصل إلا بها، فإنَّ العلمَ الحاصل بالفسق والفجور لا ينفع صاحبَه، ولا يخلِّصه من ظلمات الجهل، بل يجب عليه أن يعمل بما علِمَ، فإنَّ الطَّالب من الذي إذا ازداد علمُه، ازداد تقواه، حتَّى يكون في الدَّارين من الفائزين.

[الشكر على العلم]

ويجب عليه الشكر لما حصل له من العلم.

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: إنَّما أدركتُ العلمَ بالجهد والشكر، فلمَّا فهمته ووقفت على علمٍ قلتُ: الحمد لله؛ فازداد علمي [ت٢١/أ].

---

(١) البيتان من البحر المنسرح، وهما بلا نسبة في «روضة العقلاء» لابن حبان ص٣٥، ونشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف للحبيشي ص١٨٦ .

(٢) البيت من البحر الطويل، وهو للمتنبي في ديوانه ص١٣١، والحماسة المغربية لأبي العباس الجراوي ١/ ٥٣٠، والكشكول للعاملي ١/ ٢٩٦ .

(٣) في (ت): السلاح.

ولا يعتمد على نفسه وعقله، بل يعتمد ويتوكل على الله تعالى، [ويطلب العون منه تعالى][(١)]: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ويهديه إلى صراط مستقيم.

قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**من لم يتورَّع في تعلُّمه ابتلاه الله تعالى بإحدى ثلاثة أشياء: إمَّا أن يميته في شبابه، أو يوقعه في الرَّساتيق[(٢)]، أو يبتليه بخدمة السُّلطان**»[(٣)].

فمهما كان طالب العلم أورع، كان علمه أنفع، والتعلُّم أيسر، وفوائده أكثر.

[المحافظة على العلم]

ويجب عليه أن يستعمل ما يجلب الذَّكاء، ويدفع النِّسيانَ والكسلانَ، فإنَّ زوال العلم بالنِّسيانِ، وأصل النِّسيان بالعصيان.

يتولَّد [الكسل][(٤)] من كثرة البلغم، ولذلك قيل: إنَّ النِّسيانَ من كثرة البلغم، [وكَثرةُ البلغم من][(٥)] كثرة شُربِ الماء، وكثرةُ شربِ الماءِ من كثرةِ الأكل، فاحترز منها.

[أشياء تورث النسيان]

وكذلك أكلُ التُّفاح [الحامض][(٦)]، والنظرُ إلى [المصلوب][(٧)]، وقراءةُ

---

(١) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٢) الرساتيق: كلمة فارسية معربة مفردها الرستاق أو الرزداق، ومعناها: السواد من القرى والأشجار. انظر «لسان العرب» لابن منظور، مادة (رستق).

(٣) لم أجده.

(٤) في (ت): الكسلان.

(٥) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٦) في (ت): الخامس.

(٧) في (ت): المطلوب.

ألواح القبر، والمرورُ بين قطار الجمال، وإلقاءُ القَملِ الحيِّ على الأرض، والحِجامةُ على نُقَرِ القفا[١] [ت٢١/ب]، يورث الكسلان[٢].

وأما أكل الخبز اليابس [س١٦/أ]، والزبيب على الجوع، فإنَّهما يقطعان البلغم، وكذلك السواك فإنه يقلِّلُ البلغمَ ويزيد في الحفظ والفصاحة، وكذلك القيء.

وأما طريق تقليل الأكل: التأمل في منافع قلَّة الأكل وهي: الصحة، والعفة، والإيثار.

قيل:

فـعـارٌ، ثـمَّ عـارٌ، ثـمَّ عـارٌ شقـاءُ الـمـرء مـن أجـل الطَّـعـام[٣]

وأقوى أسباب الحفظِ: الجدُّ، والمواظبة، وتقليل الغذاء، وصلاة الليل، وقراءة القرآن نظراً.

وقيل: ليس شيءٌ [أزيد][٤] في الحِفظ [من][٥] قراءة القرآن نظراً.

ويطلب المتعلِّم العلمَ يوم الإثنين، والأربعاء، والخميس، والجمعة، فإنَّه تيسيرٌ له، هكذا روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ذكره في الخلاصة، قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**ما من شيءٍ يبدأ في يوم الأربعاء إلا وقد تم**»[٦]، هكذا فعل أبو حنيفة رضي الله عنه.

---

(١) نقرة القفا: حُفْرَة في آخر الدماغ. انظر «المصباح المنير» للفيومي، مادة (نقر).

(٢) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» ٢/ ١٥٤ (٢٧٨٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص٢٩٨ (٣٨٨): رواه الديلمي من حديث عمر بن واصل، قال: حكى محمد بن سواء، عن مالك بن دينار، عن أنس مرفوعاً به، وابن واصل اتهمه الخطيب بالوضع، لا سيما وهو حكاية.

(٣) البيت من البحر الوافر، ولم أعثر عليه.

(٤) في (ت): يزيد.

(٥) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٦) لم أجده هكذا، بل روى الطبراني في «المعجم الأوسط» ٦/ ٢٨٣ (٦٤٢٢)، من حديث جابر رضي الله عنه قال: نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ، فقال: اقض باليمين مع الشاهد، وقال: يوم الأربعاء يوم نحس مستمر.

وقيل: إنَّ يوسف الهمداني[١] وقَّف كلَّ عملٍ من أعمال الخير إلى يوم الأربعاء، وذلك أنَّ يوم [ت٢٢/أ] الأربعاء، يوم خلقَ الله تعالى فيه النور[٢].

[التكرار أس الحفظ]

وأما قدرُ السَّبق، فينبغي للمبتدئ أن يكونَ قدرَ ما يمكن ضبطُه بالإعادة مرَّة، أو مرَّتين، ويزيدُ كلمةً بمقدار ما حصل حفظه بلا مشقَّةٍ.

قيل: السَّبق حرفٌ، والتّكرار ألفٌ، ويكرِّر سبقَ الأمسِ خمسَ مرَّاتٍ، وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربع مرَّاتٍ، وهكذا إلى واحدٍ، ويجب عليه أن يكرر كثيراً بعد الحفظ، فإنه نافعٌ جدّاً.

قال حمَّادٌ أستاذ أبي حنيفة رحمه الله في ذلك:

اخدُمِ العلم خدمة المستفيد   وأدم دَرْسه بفعل حميد[٣]

وإذا ما حفظت شيئاً أعِدْهُ   ثمَّ أكِّده غاية التَّأكيد

ولا بدَّ له من المذاكرة والمطارحة، والمناظرة، والمشاورة لإظهار الحقِّ، وفائدة المطارحة [س١٦/ب] والمناظرة، أقوى من فائدة مجرَّد التّكرار.

---

(١) هو يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسن الهمذاني أبو يعقوب (٤٤١ - ٥٣٥هـ = ١٠٥٠ - ١١٤٠م) زاهد متصوف، تفقه ببغداد، ووعظ بها، وأقبل عليه الناس، وعاد فسكن بمرو، وبها قبره، ووفاته في إحدى قرى هراة، له كتب، منها: منازل السالكين، وزينة الحياة، كلاهما في التصوف. انظر «الأنساب» للسمعاني ١/ ٤١٢، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ٧/ ٧٨.

(٢) أخرج مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام (٢٧٨٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ».

(٣) البيتان من البحر الخفيف، ولم أعثر عليهما.

وقيل: المطارحة ساعةً، خيرٌ من تكرار شهر، وإنَّما تفقَّه أبو حنيفة رحمه الله بكثرة المطارحة والمذاكرة في دكّانه حين كان بزَّازاً[(١)].

[السفر في طلب العلم]

ويسافر المتعلِّم في طلب العلم [ت٢٢/ب] إلى أقصى البلاد، أي: البعيدة[(٢)]، ولو سافر ودخل الأرض كلَّها راجلاً.

حكي عن شقيق[(٣)] رحمه الله تعالى أنه قال لابنه: لو أنَّ رجلاً سافر من المشرق إلى المغرب، واستفاد في سفره كلمةً واحدةً من عالمٍ، ما قلت: إنَّ سفره ضائع.

وحكي أنَّ خلفَ بن أيُّوب[(٤)] رحمه الله تعالى، أرسلَ ابنه من بلخ إلى بغداد للتعلّم؛ فأنفق عليه خمسين ألف درهم، فلمَّا رجع قال له: ما تعلَّمت؟ قال: تعلَّمت هذه المسألة: إنَّ زمانَ الغُسل [محسوب][(٥)] من الطُّهر في حقِّ صاحبة العشر، ومن الحيض فيما دونها.

فقال خلف: ما ضيَّعت [سفرك][(٦)].

---

(١) البَزُّ: الثياب، وقيل: ضرب من الثياب، وقيل: البَزُّ من الثياب أمتعة البَزَّاز، وقيل: البَزُّ متاع البيت من الثياب خاصة، والبَزَّازُ: بائع البَزِّ، وحِرْفَتُهُ البِزَازَةُ. انظر «لسان العرب» لابن منظور، مادة (بزز).

(٢) في (ت): المبعدات.

(٣) هو شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي أبو علي (... - ١٩٤هـ = ... - ٨١٠م) زاهد صوفي من مشاهير المشايخ في خراسان، ولعله أول من تكلم في علوم الأحوال (الصوفية) بكور خراسان، وكان من كبار المجاهدين، استشهد في غزوة كولان (بما وراء النهر). انظر «طبقات الصوفية» للأزدي ص٦٣ (٧)، و«المنتظم» لابن الجوزي ٨/ ١٧٠ (٨٢١).

(٤) هو خلف بن أيوب أبو سعيد العامري البلخي الزاهد، الإمام المحدث الفقيه المفتي، تفقه على القاضي أبي يوسف، وصحب إبراهيم بن أدهم، وحدَّث عنه الإمام أحمد بن حنبل، توفي سنة (٢١٥هـ). انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٩/ ٥٤١.

(٥) ما بين معكوفتين من (ت).

(٦) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

فصل: في النصائح

أربعة أشياء تزيد في نور العين:

النظر في المصحف، والنظرُ إلى وجه أبوين، والنَّظر إلى الكعبة، والنَّظر إلى وجه العلماء.

وأربعة أشياء تنقص من نور العين:

أكل الطعام الملح، والمشي في أعين الشمس، والنظر إلى وجه العدو، وصبُّ الماء الحار على الرأس.

وأربعة أشياء تسود القلب:

كثرة الكلمات [ت٢٣/أ]، وكثرة الضحك، وكثرةُ الأكل، وأكلُ الحرام.

وخمسةُ أشياء تنور القلب:

قراءة [سورة](١) الإخلاص، وقلّة أكل الطعام، ومجالسة العلماء، والإكثار من صلاة الليل، وأكل النباتات المأكولة.

أربعة أشياء لا تعتمد عليها:

طيبُ الهواء في فصل الشتاء، وضحك الملوك، وملاءمة العدو، وزهد المرأة.

اعلم أنه إذا أردت أن تفعل شيئاً، فاعلم [س١٧/أ] أوّلاً: أنَّ الله تعالى حاضرٌ وناظرٌ [فوقك](٢)، إن كان ذلك الشيء خيراً؛ فافعله بالخشوع والخضوع، رعاية لعظمة الله تعالى، وإلا فاترك الشيء خوفاً من [غضب](٣) الله تعالى وعذابه.

---

(١) في (ت): القرآن وسورة.

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

(٣) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

وإن شئت أن تعيشَ مع جميع المخلوقات بالمحبَّة والمودَّةِ فارعَ من كان كبيراً منك كأبيك، ومن كان مساوياً لك في السنِّ كأخيك، ومن كان صغيراً منك كابنك، ولا تشترِ شيئاً بالنسيئة(١) من أخلائك [ت٢٣/ب] فإنَّه يورثُ البغض والعداوة، ولا تقترض منهم؛ لأنَّ القرض مقراض المحبَّة.

ولا تتكلم بسرِّك إلى ثلاثة: شارب الخمر، والمرأة، والصبي.

ولا تكن من تارك الصلاة، وشارب الخمر، والزاني، ومَن لا حياء له، فإنَّ هؤلاء مذمومون عند الله تعالى، وعند جميع المخلوقات، ولا ترج الوفاء من العمَّال، وممن يشابههم، والمنافق، والغلام الصبيّ، والسُّفهاء.

وإن شئت ألا يُكشف عيبك: لا تكشف عيب غيرك، كما يقال: لا تقل لا تسمع، ومن دقَّ دُقَّ.

وإن شئت ألاّ تسمع كلاماً غليظاً، فلا تقُل للغير كلاماً غليظاً.

ولا تترك أخلاّء أبيك، فإنَّ أخلاَّءَ الأب ميراث للابن، ولا تأمن من أعداء أبيك، ولا تدخل ولا تتكلّم بين المرأة وزوجها، وبين التلميذ وأستاذه، وبين العبد ومولاه، [وبين الأب وابنه](٢).

ثمَّ اعلم: أنَّه ينبغي لكلِّ طالب علمٍ أن يقرأ ويحفظ هذه الرِّسالة، ويطالعَها ويستعملها في كلِّ زمان، أو تُقرأ عليه ويستمع، ويحفظ ما سمع؛ لأنَّ من لم يعرف شرفَ العِلمِ وعِظمَه وسعادةَ أهله، وعظم شأنهم [ت٢٤/أ] في الدُّنيا والآخرة، لم يجدَّ، ولم يسعَ إلى تحصيله [س١٧/ب]، ولم يصبر على المشقَّة فيه، ولم يحصل مرادَهُ، ولم يصل مقصوده؛ لأنَّ من طلب شيئاً

---

(١) أراد بذلك بيع النسيئة، قال ابن الأثير في «النهاية»، مادة (نسأ): النسء: التأخير، يقال: نسأت الشيء نسأ وأنسأته إنساء: إذا أخَّرته، والنَّساء: الاسم، وحديث: «إنما الربا في النسيئة» هي البيع إلى أجل معلوم، يريد أن بيع الربويات بالتأخير من غير تقابض هو الربا وإن كان بغير زيادة.

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من (ت).

ولم يعلم كيفية طلبه، ولم يعلم ممَّن يطلب ذلك الشيء، ولم يباشر أسبابه، لم يصل مراده البتة.

وأما من يطالعها، ووقف على عظم العلم وأهله، وعرف كيفية تحصيله إجمالاً فوصل إلى مراده، ونال مقصوده بعون الله تعالى.

الحمد لله على إتمامه وإعطاء نعمائه، والصلاة على محمدٍ، وآله وأصحابه أجمعين، تمت [س١٨/أ] [ت٢٤/ب].

فهرس الموضوعات